رسائل محب

خصوص

تأليف

مصطفى البلكي

طبعة ٢٠١٩

البلكي، مصطفى

رسائل محب: نصوص/مصطفى البلكي؛ - الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٨ .

١٦٤ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٧٢١٢ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الحب - الجوانب الإجتماعية

أ- العنوان

٣٠٢,٣

رسائل محب

خصوص

تأليف

مصطفى البلكي

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٨/٢٢٨٣١

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٧٢١-٢

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٩

الكتاب : رسائل محب

المؤلف : مصطفى البلكي

الغلاف : عبدالله نصر

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

شـيئان في الدنيـا يسـتحقان المنازعـات الكـبـيرة وطـن حنـون وامـرأة رائعة.

حمزاتوف

١

في زمن التيه كثيرًا ما سألت نفسي: على أي شيء تتغذى روحي؟ وأي سكون هذا الذي يجعلني مقيمًا؟ كمن أوجدته الصدفة في مكان ما، محدودة أبعاده، كالجسد الذي يحتوي الروح، هي في طبيعتها، تعشق الانطلاق، ما كانت الأسئلة قادرة على إيجاد إجابات مقنعة، دائما كنت أسحب جسدي الذي حمصته شمس الجنوب، وأوغل بلا هدى، أقيم هنا، وأسافر لهناك،أحاول أن أتعلق بشجرة، طلبًا للظل، وبين هنا وهناك دائما خط مستقيم، بداية معروفة، في الأغلب تؤدي إلى نهاية متوقعة، وما بين البداية والنهاية تهدر نفسي؟ كان لها صوت مرتفع، أقرب ما يكون إلى صوت الباخرة وقت مغادرتها الميناء، وقتها كنت أنصت، لا أعرف إن كنت مختارًا أو مجبرًا، فالنتيجة النهائية، أنني كنت أنصت لصوت الخواء.

كنت قد وصلت في لحظة ما إلى أنه لا علاج لتلك الحال إلا أن أُغرق ذاتي القلقة في بحار الناس، وإن لم أفعل، فعليَّ التنازل عن كل شيء، بما في ذلك الحياة.

وقت أن تأكدت من أنها الطريقة الوحيدة، المتاحة لي، اقتنعت بها، وأنا أدرك أنه لا شيء نهائي، بمعنى لا محطة نهائية، رغم وجود محطات لبدايات معينة، وتلك ما كانت لتوجد لولا إيمانى بأن المحاولة هي من تهب الحياة، نقطة الضوء، بل أحيانا يكون هذا المنطلق هو نقطة البداية الصائبة، وتلك كانت وسيلتي لأنقذ روحي من أن تنقسم إلى نصفين، فالانشطار كان سيورثني نفسًا منقسمة ومحطمة، ولو حدث هذا، ما كانت أشرقت روحي بين يديك.

وأخذتنى الأيام، وهبطت بى إلى الوادي الفسيح، حيث كل شيء مريح للعين، ومنبسط تحت تل مرتفع، عليه مبنى وحيد، دون على جدرانه، كلمة السعادة، وقتها عبرت حياتي عشرات الوجوه، كلها مرقت من دون أن تترك أثرًا يدل عليها أو رائحة تدل عليهم، تلفح أنفي ذات يوم، فأركن ظهري لجدار أو جذع شجرة، وأشرد معها، هذا لم يحدث، ولذلك كانت الشمس تشرق وتغرب، وأمضي بياض النهار وأنا المسافر لوحدى، لا أملك أي رسالة لليوم المغادر، فقط كنت أخشى من الكآبة ومن زمن حضورها، كنت أرتعب، فالذي فعلته بى كان صفحة أتمنى ألا تعود مرة أخرى.

وقت أن تتحكم الكآبة بى، كانت تطلق فحيحها، يظل قائمًا بداخلي، ولأتخلص منها كان يلزمني الكثير من الجهد، والكثير من السفر إلى دروب أدمن المشي عليها، فكل ما بداخلي هو وليدها، وكنت أذوب وبعد الشفاء منها، تعود وتحتويني بعض الإشارات، وهى في انطلاقها لا تصل لأن تصبح مثل السيل القادر على التغيير، بفعل قوته، ورغم ذلك كنت أتحسس وجودكِ، كنت أعرف أنك في مكان ما توجدين، لكن زمن إشراقك، لم يكن قد حان بعد.

إن الإشارات التي تكون قادرة على لفت انتباه الروح، فتستيقظ من غفوتها، تمتلك في طياتها عبيرها، يطاردها أينما وجدت وكانت، فيصبح مريدًا، تضمه مع الإشارات جلسات وجلسات، لا يمل أبدا، يتأمل شمس حياته وهى تشرق، شمس دفء، تكون قادرة على إنضاج خبزه، مهما سطعت فهو يتقبل قسوتها بنفس درجة تقبله لعطفها، ويسافر كثيرًا تحت نورها، فيرى بعين خياله الجنة التي حرم منها، لحظتها فقط يقول ما كان لي رد إليّ، اكتمال الضلوع لا يكون إلا بعودة الضلع الغائب، وقتها يعود يقينه، بجدوى حياته، فالحياة الحقيقة توهب لمن تعلق بالثريا، تكون دليله، وأنا مع سنا نورك كنت على موعد، كان مقدرًا لي.

●●●

٢

الحب هو ملح الحياة من غير وجوده لا تطاق، هو رائع كونه لا تعريف له، وكونه اللامنطق ذاته، يملكنا ولا نملكه روعته تتبدى في كوننا نعيش به، ولا نعيش له، هو بمثابة التيار يمضي بنا من المنبع إلي مصب مكتوب لنا، سيره هادئ وقادر على التغيير... يتنهد قلبي في عالمه فأتجرع صوتك، وأرتشف وقتي على صدى كلماتك ، وأوقد من ذاك الغياب شمعة لا تنتهي، وحروف اسمك طالها الخلود، وهناك في شرفة تطل على براح الطريق سيمر النسيم فعانقيه، كلماتي ستحمل رسالتي ، ضعيني لو أردتِ حجرًا في جدار، أسقطي من النسيم صورتي واستعيري من كتب العشق ولو كلمة ترى ما بي من حروفها ، وفي سلة بجوارك اقطفي وردة أهديها لمن غزته الغربة وسكنه الحنين، تسألني الكلمات عنك فأنا على باب بيتك ما زلت واقفًا ليكبر الحنين وغدا لن أستطيع ، ليكبر ويكبر فطفل اليوم غدا سيصبح يافعا وثورته ستبني مجدا يليق بك، ككل الرواسخ ، أنت شجرة وارفة الظل لن تموت، ولن يعرف الخريف لها طريقًا، أجلس في ظلها وظهري مستريح للهدوء، والظل يكبر من حولي، ظلك والحضور، فهل من هاجر إليك له سبيل غير هذا؟ نسيم وشرفة وفضاء البحر وظل شجرة معك، أحسن الدهر بي إذا جعلني أركن

لجدارك ،تهت زمنًا ورست سفني، وكم عانقت النسائم، وفي الجوار ولدت من جديد، أطعم الوقت حرفك لعله يستكين، وتتنفسين الحروف فأجد عطرك، يترك في براح العين خيالك فأستفيق لأرى كامل الكيان شامخًا فينوس في كامل مجدها جلست إليّ ببديع الكلام، عازفة هارب فرعوني تعزف على وتر، ليشرب كل عابر عذب لحنها فتستودع الطير صورتها ومن مكاني أرتقب وسأظل في جلستي أحمل ما تسقطه شجرتها

والحب بيتنا الفخيم، عالمنا الآخر المتواري بعيدًا عن العيون، أنت محوره، وملكته، تديرينه بهدوء عاشقة، معتادة على توطين الجمال في حواف المملكة، تصبرين على كل ما أقوم به، تروضين الوحش الساكن بداخلي، تبعدينني عن طريق التبرير والتفسير حتى لا يتبدد الوقت، فأكون في صلاة، وكل من عاش التجربة رضي بالإقامة في مدينة هي أحب المدن إليه، حقيقة يواجهها مبكرًا، ويكون منتبها لها حتى لا تتبدد اللحظات من دون سعادة، كل هذا لأنك ترينني كما أنا، الذي نظفتِ من أجله مدينتك، ونقلته من العابر إلى المقيم، كان عالمي قبلك عالمًا فوضويًا، تسكنه الحكايات، ونتفا من سير عشق، وحكاية لم ينضجها الزمن، ماتت على يديك، وضعتها بين قوسين هي وحكايتها وأوراقها، وأحرقتها على الطريقة الهندوسية، ودفنتها في بئر بعيدة، وكنت معك في سيرة مفردتها الوحيدة

الروح الجميلة، واشتهيت فيك توحدًا، وعمرًا وحلمًا يسير على جمرتين، كلما فتشت في سيرته وجدتك في خيالاتي بعدد من الصور لا حصر لها، جلسة عائلية نسترجع فيها كل شيء، وأنا نائم على فخذك، وأناملك تتخلل شعري، أعيش بكل ما بي معك وبك حياة من بعد أخرى، حياة الشغف.

سأحدثك ـ الآن ـ عن الشغف ، حديثه ملغز، وفيضه لا نهاية له، أوله الشغف بموطن ولدنا فيه، وآخرها حضن أنثى نتمنى أن تكون نهايتنا في دفئه، لا فرق بين الأول والآخر، فكلاهما حديث عن الوطن.

الأرض بكل ما تحمل هي ذلك العالم الذي وجدنا فيه ودرجنا، وتكلمنا حروفنا الهجائية فيه، ومن هناك التصقت بنا كلمة بيتنا، مدرستنا، شارعنا، مدينتنا، جامعتنا، لذلك فالوطن هواء نتنفسه بحرية، ونقبل كل ما يوجعنا منه، لأنه في النهاية هو الملاذ لنا حينما تضيق الدنيا.

والأنثى هي الدفء الأكبر القادر على منحنا وصفة سحرية لنشد إلى أرض لا نغترب عنها، ولا نطلب غيرها، ويصبح عطرها مرشدًا لنا، وهمسها كتابًا مقدسًا، والحياة عبرها قيمة مضافة لنا، لا نفرط في قربها ولا نقبل أن تهز صورتها أى عوارض.

●●●

٣

ما كنت أدرك منذ سنة أن حدود الحياة يجب أن نحافظ عليها عبر تعلقنا بنور يحافظ على نقاء الروح عبر حياة ملموسة وواضحة، لا حياة تسير في المعتاد فتصبح دالة ومرئية من خلالنا، نلمحها في كل ما يصدر منا من قول وفعل، ونحسه في عيون من يقابلوننا، ويكون هذا التغيير أكثر ثباتًا.. وما كان ليكون على هذا الشكل لولا اقتناعي بأنك جنتي التي وعدت بها، وهي تتويج لتلك الحياة، جاهدت وما زلت حتى تكون مستقرة وهادئة، تقود إلى غاية أكبر ألا وهي: تنتظم التبادل بين كيان مسكون بك وبين روح مسافر إليك دائما..

وتلك الروح التي كانت تائهًا، كانت لا تتقن التحليق بعيدا عن منبتها ومستقرها، وكانت تمتزج مع المشهد العام المحيط بي بطريق الاعتياد، وكأنها تطالب بحصتها في الحياة، فالمعني بتفاصيله البعيدة ما كان يهمها، المهم لديها البقاء والتواجد، وكنت من جراء ذلك وهذا ما اكتشفته بعد أن أدخلتني جنتك كنت ممزقًا بين أن أكون وبين فكرة الانعزال التي ترسخ لها تلك الروح، كنت محتاجًا لإعادة التوازن بين الروح ومحيطها، وبين الروح والوعاء الحاوي لها، وبجملة قاطعة محتاج لأن

أغادر ذلك الارتداد نحو الذات العاشقة لحياة العزلة إلى عالم آخر، يعيد لي أصل حياة يجب أن تكون وتوجد..فكنت على يديك منتميًا لها، عارفًا لجوهر نفس تسكنني، مدركًا لحقيقة المحيط المحدق بى، لا تتعجبي فالإنسان حينما يصبح لا يعرف من يكون، يصبح على خلاف مع الجميع، لذلك فالذي فعلته كان إيقاظا لتلك النفس وللروح وللجسد، لأكون أنا الآن مرتقيًا ومحلقًا في عالم وجد بوجودك.

الأيام دارت فعلت فيّ ما فعلت، غيرت فكري، وتعلقت بأفكار أخرى، وبقى شيء وحيد لم يتغير، وجودك، في مثل هذه الأيام كانت بدايات الحياة، أتذكرها ولن أنساها، فبدايات الحياة دائما تكون لها استمراريتها، ودوام وجودها، لأن ما استنبتته بعد ذلك سمق، وأصبح هو كل شيء..الحب في ذاته هو، لأنه هو من وضعني على الطريق لأدرك من أكون، وأكون على معرفة بنفسي التي كنت أتعايش معها،وبعد كل ما حدث على مدار العام، أنت الحقيقة الوحيدة الواضحة وضوح وجودي، فلا حرمني الله منك.

كانت الفكرة السائدة قبل وجودك: أيها السائر في الحياة أنت بخير..كان ذلك الصوت مستقرًا، وكان متغلغلاً ، لم أعاقبه أبدا لأنه لم يذكر كلمة السعادة وكأن الجنة لم توجد، ولم

تستقر مفرداتها على سطح الأرض، ولها رسوخ منذ أن عرف الإنسان أن هناك حياة يجب أن تكون حاضرة، تُعلمه كيف يخلق أقصى درجات السعادة، وأكاد أقول إنني كنت كما له قدرة، لا يعرف مقدار ما يحمل بين جنباته.

كنت محتاجًا لمن يغربل هذا الكيان، تحت سمع وبصر كيان تعاد له كينونته، فكنت أنت، من وجود ومساحة كنت أظن أنني سأظل أتعرف عليها من سطور الكتب، وجدتني أهجر ما كان، لصالح حياة أنت وضعتِ لبنتها الأولى، حياة لن أمل من تكرار أنها مولدي الثاني، ومن خلف هذا الحضور، منحت أكبر قدر من الرسوخ في أرض اسمها السعادة..وفي مثل هذه الأيام بدأ التكوين فكنت انعاسكًا لنور وجودك..

●●●

٤

حينما كنت على خط الحياة أوغل في المشي على طريق يخصني، كنت إزاء رجل لا يدير حوارًا إلا مع نفسه وشخوصه التي تتراءى له، كلها من الماضي، وكنت في تأخر دائم أو بالأحرى كنت خارج الحياة، وبمجرد تخلي الوقت عن كل ما يهمني كنت أغرق في لجة من أفكار قاتلة، وكأني أعيش في مدينة مقطعة أوصالها، تعيش في كانتونات منعزلة، لا يصلح مع هذا الشكل فكرة أن أكون في حركة هادئة، وعلى ما يبدو بدت روحي ملولاً، لا قدرة لها على الصمود، أو أن تكون في رفاهية الوقت، وفي لحظة فارقة كنت مع الوجود الملهم الذي أفاض عليّ بما يحمله من حياة وحضور، كنت معك في دائرة ظهرت لي رغم بعد المسافة كأنها إلهام حجب عني لما يزيد من قرن من الزمان، ووقف الوقت كإنسان أبله، لا يريد الموافقة، ولا يريد لي أن أكون حيث أتمنى، ارتفع صوته كمن خرج يطلب ثأره محتدًا، ومن ثم بدأت حركته معي تتباطأ كأننا اقتربنا من نهاية رحلتنا، ومن الواضح أنه كان يريد أن يكسر إرادتي، ويجعلني أحيد عن طريقي، وكأني لم أكن صديقه الحميم، الذي كان يغزل لي قصص الحياة بمهارة حائك جاء من عصور غابرة، ولما تحركت

في اتجاهك كان مترصدًا بي كقاتل مأجور، منحه أحدهم المال الكافي من أجل قتلي، وكنت أحسبه مرضًا عارضًا سيصاحبه بعض الوقت، ثم يبرأ منه، ومن الغريب في الأمر لم يفلتني، كنت تحت سهام عينيه، يترقب إخفاق رحلتي، وكأنه ينتظر عودتي، ليمنحني رصاصة الرحمة، لكنه ها هو الآن يقف على الجهة الأخرى يتلهى عني بحديث قديم كبضاعة كاسدة يتمنى رواجها لكن لأن نورك جاء من أصل مضيء، كنت وكان أثرك.

عندما تميل العين إلي دوحة شافتها، يكون السؤال كيف السبيل لمنعها، هل نملك المنع، وهل حينما يزورنا الحلم وتكون مفرداته حاضره هل نملك اليقظة لنبعده، هل نملك ؟ ليس إثما أن أعلم هذا لأنني كنت كمن يصلي في محراب الطهر، هل تكون صلاته باطلة وهو الناسك، تماما كمن ارتدى ملابسه، وفجأة لامسته قطرات الندي، هل تطاله أي نوعية من الأذى، هو إن رغب في الطهر، فهي أطهر أنواع المياه، يلتمس لنفسه بقايا منها لو أراد ليكتمل طهره، هل تعرفين معنى أن يحلق طائر في دوحة بجناحين قويتين، ولا يريد الهبوط، فقط يخلق أمنية له، ولا يريد أن يحط، حتى لا يزعج من على الأرض، لا يرغب إلا في أن يكون شاهدًا على ذلك المكان الذي يراه منبعا للطهر المخلوط بالكثير من الحزن، الحزن الذي يضيف ولا يخصم، هو

لا يريد إلا ذلك القبس وهي تريد ضوء الشمس حتى تعيش، والطائر ذاته يريد قبسًا من هذا الوجود حتى يستمر، فهو إلحاح الحياة والروح المنهكة وصخب الداخل الذي لا يهدأ أبدا، فكل شيء مبعثر، يتجمع هناك، لا وقت يمر بسهولة ويسر إلا هناك، التقيد بالطيران فوق الربوع التي توجد فيها لا يسبب إلا المزيد في إعادة نفس الرحلة، عندما يحاول أن يلملم ذاته ويحلق في مسافة قريبة، لا يقدر، يعرف أنه لو اقترب أكثر ربما يحترق، فيسخط على نفسه، ويحاول ترجمة ترانيمه بأي طريقة، ويصنع ألحانه على مهل، ويرسلها لمن يسمعها، يكفيه، أن تلامس عينين تتطهران بماء الندى، يكفيه هذا، بلا ضجيج، من بين كل المبعثر داخله، ينظم عقودًا وعقودًا، يرتبها، وحينما يهم بالبوح، يكون الحنين قد داهمه كي يطير ويحلق، فيتحول الحنين إلى انفجار، فيصمت، ويسافر حيث الداخل.

قد ترين المقدمة غريبة، وهل حياتنا إلا مجموعة من تلك الغرائب لمفردات تنظم فنكون نحن، وتكون هي تلك الحياة، فالدنيا تصنع فينا ما لم نكن نتوقعه، وما لا نتوقعه هو واقع في الحياة التي تحيط بنا، في مكان ما، ثمة فكرة تقترن بنا، وستغدو في وقت لاحق أفضل من تلك الحدود التي نمت ورافقتنا منذ البداية.

الصخرة الكبيرة التي تحطمت عليها كل المكونات، التي تحيط بى، كانت صورتك، الصخرة الصغيرة النائية، والتي تبعد عنى مسافات لا تحتاج لقطار يقطعها، بل تحتاج لما يفوق تلك الوسيلة في السرعة، ننسى ونحن في غمرة الحياة أن هناك ما هو أكبر من تصورنا، عالم آخر مغلق، واقع محصور بين خيارين، بين بلاهة ترّوح عن النفس وواقع مرير يذوي، منا من يلغي تلك المساحة، ويدفن فيها كل ما يرتبط بالروح، والنفس، فلا يشتاق ولا يحن، وبالتالي لا يكون قابلاً لأن يبوح حينما يشتد حنينه ولا أن ينفجر وقت أن يتجاوز الحد المسموح به.

حينما نجد أنفسنا مشدودين لوجه ما، غالبا لا نعرف السبب، لكن هناك ما يسمي التأقلم مع هذا الوجه، فنشعر بالراحة نحوه، وكأننا نعرفه منذ سنوات بعيدة، لذلك يكون السؤال الصحيح كيف حدث هذا؟ والإجابة عن هذا السؤال لا تحتاج لكلمات كثيرة، فقط نقول الوجه له في داخلنا صورة تشابهت مع أصل وجد، فحدث التطابق، وكان هذا الميل نحو هذا الوجه

حينما نفكر في الطريقة التي نتجاوب بها مع الذين يدخلون حياتنا عن طريق تأثير تلك الراحة، فسوف نقتنع بأننا وجدنا في المكان الصحيح، بغض النظر عن المسافة التي تفصلنا عنهم،

فالمسافات وقتها تصبح من صنع الخيال، فالجالس تحت جدار ارتاح لظله، هو الدنيا بما فيها، متعته تصبح كاملة وقت أن يتعلق بهذا الظل، ولا يفوته وقتها أن يؤسس لواقع وجد فيه عن طريق هذه الصدفة التي هي فكرة حياته، ولم لا وهو قد رضي وقنع بهذا الحيز الذي يتيحه له هذا الكيان القريب إلى نفسه وإلى عينه القادرة على تثبيت النظرات في عينين رائعتين، وبذل الجهد حتى يكون هناك مجال للرؤية.

وبعد ذلك مهما حاولنا كي نبعد ما استقر في نفوسنا، فهذا لن يكون سهلاً، لأن الوجه نقش في الروح، ووجد في حيز يخصه، يصعب علينا بعد ذلك أن نتجاوزه، حتى عندما يأتي ذلك الصوت خفيضًا من داخلنا: حياتك حافلة، مليئة، كاملة أو هكذا يخيل إليك، نقف في وجهه، وبهدوء ومن دون انفعال، نفهمه أنه حينما يظهر شخص ما ويجعلنا ندرك ما كنا تفتقده طوال الوقت، فهذا حدث استثنائي لنا، هذا الحدث الاستثنائي مثل مرآة تعكس الحاضر، تريك فراغ روحك، الفراغ الذي كنت تقاوم رؤيته، قد يكون الشخص حبيبًا أو صديقًا أو معلمًا روحيًا، المهم هو أن تعثر على الروح التي تكمل روحك، الذي يساعدك في البحث في أعماق روحك وثناياها لأنك بوجوده تجد النصف الغائب.

الإدراك حال لا نصل إليها إلا بعد حدوث التأقلم القادر على أن نفهم عبره أنفسنا، وقتها يصبح الاتزان صفة تلحق بنا، ونوصف بها، وفي تلك الحال يمكننا أن نمارس حياتنا بالطريقة التي تليق بنا كبشر بعيدًا عن أي معتقدات، فالإنسانية التي تجمع الكل كافية لأن تكون الإطار النقي لجمعنا.

دائما تكون الغاية المطلوبة من أجل هذا التلاقي الوصول لحال الامتزاج، وتلك الحال لا تحدث إلا إذا تشرب كل طرف من الطرف الآخر ما يعينه على مواصلة الحياة، وقتها سنصل لحال الواحد الصحيح، كل جزء يكمل الآخر، وقت أن يتم الامتزاج، يكون للروح مجالها، فهي التي تسكن الأجساد، الجسد وعاء الروح، والمناجاة وسيلتها الأفضل، ولا شيء يمكنه أن يحل محلها، فهل بعد تلاقي الروح بروح أخرى، حياة، إنها الحياة المثالية، حياة الأرواح النقية، ولتعلمي أن الأرواح الجميلة لا تحتاج لمقدمات لدخول القلوب، وتلك هي القاعدة الأهم في تلاقي الأرواح

●●●

٥

النهر حينما يأخذنا نفكر فيه، أهو صلة أم حدود؟ موجه هو من سيخبرنا.. نتبعه وهو يمضي من منبعه إلى مصبه.. صامتًا تارة وعنيفًا تارة أخرى.. لكن في عنفه وثورته حدود الضفتين.. وحينما يصل إلى مصبه.. هناك سنجلس لنشاهد جزر الماء نحو البحر.. بعدها.. سننظر.. ويكون السؤال.. هل نستطيع فصل ما تم امتزاجه من ماء النهر وماء البحر؟ بالطبع لا.. كذلك صلة الحب..فلا سبيل لنا لفك عناق روحين.. فالحياة في أسمى صورها تكون..

في كل صباح.. أعانق طيفك. باب الخير يبدأ من هناك.. النظرات تستقر.. ثم تذوب.. ولن أستردها.. لا تقولي لماذا العين حينما تغرق.. لا تعود.. لاتقولي من يستطيع ومن يقدر؟ العين في رحلتها تشرق وقت تماسها مع وجه اغتسل بشعاع الشمس.. وقتها لا تلومي العين إن ظلت هناك.

أحبك...حروفها قليلة ..لكنها تحمل عمري.. عمري الذي هو كلحظة في مسيرة الزمان..تلك الحروف بارتباطها توفق بين عمري ورغبة الحياة، حروف قليلة لكنها تملك قدرة التغيير.. بإرادة القلوب..خبرتها وعرفت قوتها.. نحن من يجلب لها القوة بتماسكنا..

قوتها من قوة الخير المزروع في القلوب، حروف لا تؤمن بالصراع ولا بالصخب.. .ترتاح للهدوء.. ولدقات قلب ينتظم مع وقعها.

فالحياة تمنحنا معانيها من خلال من نحب، هم الذين يمدونا بالوميض الذي يقودنا ويجعلنا ندرك و لو جزء من حقيقة الحياة.. وأنا منذ أن تعلقت بسنا نورك عرفت أنه لم يعد ثمة شيء يقدر على أن يصنع حدوداً بيني وبين أسباب استمرار الحياة لدي، وهذا ما كان ليحدث لولا ما كنت عليه منذ أن أدخلتني جنتك ..منذ هذا اليوم درجت على المقاومة وكما قلت أنت ذات مرة ..عنادى ثبتك.. فالحقيقة تقول.. لا ثبات من دون معارضة أو مقاومة.

فلا معني لمن يجلس ويشاهد تلاشي تلك الحياة.. فهو وقتها لا محيط له.. ولا حيز يضمه.. تماما كالشيء الذي نعلقه في الفضاء.. هذا الشيء يسهل اقتلاعه وانتهاء أثره.. وقتها تنتهي الحياة.. ويصبح هو الشاهد الوحيد.. أما العين التي أبصرت.. ورأت..وعانقت.. ورسخ داخلها جمال الدنيا كله.. تعرف كيف تظل مفتوحة.. تقاوم الانغلاق وتتصدى لكل شيء يحاول أن يجعلها نائية ومعتمة.. لتكون بعيدة عن هذ الضوء الذي منه تتلمس الرؤية.. وأنت هو هذا الضوء.. وحبك شعاعه الذي ينير لي طريقي.. لا حرمني الله منك.. ومن وجودك.

●●●

٦

هنـاك كلمـات تشـرق وتسـكن بـين ضلوعنـا، دون أن تسـبب أى ضجيـج، ولا نقـدر بعدهـا علـى أن نديـر العـين أو نغفلهـا، ولا يمكننـا أن نقـول بـأن الصوتيـات المرتبطـة بهـا تأتـي مـن نفـس الغـرف المعتـادة، أو المخـارج المعتـادة، فهـي تأتـي مـن مـكان آخـر مختلـف، يخصهـا هـي، تأتـي مـن هنـاك هادئـة، أو علـى موجـة مـن الهـدوء الـذي أكسـبتنا إيـاه، فترتقـي معـارج السـعادة التـي تملـك شـفرتها، وحينمـا تسـتوي كاملـة، نصبـح في عالـم يتعـذر علينـا أن نغـادره، فـكل البـراح الـذي يضمنـا يسـيج بـه، ولأنـه لا يوجـد شـيء بـلا صـوت، فأنـه بنفـس القاعـدة لا توجـد حيـاة مـن دون صـوت وحيـد، عـزف منفـرد يشـكلنا، اسـمك هـو ذلـك الصـوت المتفـرد، بـكل جـلال يفعـل بـي مـا لـم أكـن أتوقعـه، ومـا لـم أكـن أتوقعـه هـو حاضـر أعيـش فيـه..

في أوقـات كثيـرة يصبـح ذلـك الصـوت هـو كل شـيء، يسـد الأفـق فـلا نقـدر علـى اختـرقـه، وكأنـه حصـن نفسـه بنفسـه، وحينمـا نبـدأ في رسـم تلـك الصـورة، فأننـا نقـف عاجزيـن، ليـس العجـز الـذي ينبـع مـن قلـة الحيلـة أو فقـر في مقومـات النجـاح، لكنـه عجـز مـن وصـل لجـزء كبيـر مـن حقيقـة وجـوده، هـو عبـر هـذا الصـوت فـك معضلـة تخصـه، أرقتـه كثيـرًا، وجعلتـه هائمًـا علـى غيـر هـدى، يعيـش اليـوم ولا

يتعداه لما هو أكبر، وحينما كان يشتاق للتغيير يعمد إلى الفراغات، فيملأها بالخيال، خيال لا واقع له، وقتها كانت غايته تكمن في النأي بنفسه بعيدًا عن صوت يأتي فيقلب حياته، هو لأنه لا يدرك ذلك، ولا يعرف ما في الصوت المتفرد من حياة، عاش سنوات طويلة مع سجن فكرته، وفي اللحظة التي ذاق فيها حلاوة النغمة أيقن أن تلك الحياة بلا صوت هي مقبرة، وأنها كانت تسكنه كوهم، وفي اللحظة القدرية التي جاءت وأدرك فيها أن حياته هي بمثابة معزوفة موسيقية، عليه أن يتشرب النغمات لا أن يسمعها ويطرب، وعليه أن ينسى السؤال: لماذا أنا هنا الآن؟ ولماذا أنا في تلك المساحة من العالم؟ فالإجابة ستكون من داخله، ستقول لك: حياتك مرتبطة بهذا الصوت، عانقه بقوة، امتزج به، بل كن قريبًا، واصنع مفردات القرب، واعلم أنه لا شيء يولد من فراغ، الصوت ما هو إلا مجموعة من التمائم ضمها وأمضي...من أجل ذلك أكرر....اسمك تميمتي.

الصوت / الاسم وقت وجوده، يكسر عزلتنا، ويجعلنا في حال اتصال دائم بالعالم الذي نوجد فيه، ونكون كمن جاء لتوه من عالم مختلق، وكل المرئيات التي تتراءي لنا وتحيط بنا تحمل عوامل جمالها، وفي تلك اللحظة والاسم يخرج همسًا أو جهرًا، يتحرك مركز الثقل من الداخل للخارج، وبحكم التوازن بين

اللاشعور والعقل، نفارق كل تناقض قد يطل برأسه، وبتكراره نحطم كل جامد، ونصبح في منتصف بؤرة تعيد تشكيلنا، فنستسلم برضا تام، فحاجتنا إلى الطاعة تفرض علينا أن نعامل كل ما يولد بعد أن يملأ المحيط بنا، معاملة الأم لوليدها، فالغرض الاسمى هو الحصول على حال انسجام، ندور في مدارها، ومع الدوران نكتشف مكونات الذات التي مالت إلى هذا الكيان الذي يُعرفه الاسم، ثم تأتي الحركة التالية والتي تجعل من الاسم وسيلة امتزاج بمعنى أشمل وهو الإنسانية كلها...

وتصبح الفجوات التي كانت قبل أن يدخل الاسم حياتنا، متلاشية، أو متقلصة، وما بعدها، هو عالم يفتح بوابة اكتشافات، سوف تغيرنا إلي الأفضل، ويجعلنا خارج بوابة اللحظة، ننظر إلي ما هو قادم بعين تعي جدا الحقيقة التي تقول: الأفضل لم يأت بعد، وبما أن هذا الحاضر الجديد، المواكب لاستقرار الاسم، يكون قد تمترس خلف عدد من الحقائق المتعلقة بتلك الروح المسافرة إلي كيان يحمل صفات الاسم، تكون الثورة هي مولود جديد ، يمدنا بكل المفردات التي تلون حياتنا، ثورة تملك مقومات الاستمرار، والتغيير، فلا بركة في حركة لا تؤدي إلى الانتقال، انتقال يمقت الفوضى، والنفس الضائعة، ويجعل النفس في حالة يقظة حتى تعقد في محيطها لافتة ترسخ عليها نجاحا يليق بهذا الاسم.

عبر إرادة القوة يتم كل نجاح، دافع الذات للنجاح، لا يقاس بفترة ما قبل الاسم، ففي وسعنا أن تكون نقطة الانطلاق نحو الهدف بداية لحياة رفضت الجمود، وعشقت النور، هى فترة أبعد ما تكون عن نطاق المغامرة، فالمغامر يضع حياته بين كفيه ويمضي، أما المتعلق بالاسم هو مدافع عن وجود وجد فيه، شاف ورأى بعينه مقدار ما تركه داخله، ربما في لحظة ما يخوض غمار المغامرة حتى يعمق الشعاع الذي سكنه، وفي ظل ذلك الإدراك، نجد الميل للصوفية، التي تجعل من الاسم غاية كثريا معلقة في الفضاء يتم مناجاتها، وعبر تلك المناجاة يمجد الاسم، وتلك الوسيلة سوف تصفو بالنفس، وتجعلنا أكثر حرصًا على الحياة، المرتبطة بالاسم.

وفي نهاية رحلتي مع الاسم، لا بد من الاعتراف بأن كل من لم يتعلق برمز هو بيده أخرج نفسه خارج سياق التاريخ، بل ربما طرحته الحياة وعاملته كشيء زائد، وهو بذلك ناقص، وكل ناقص مسيره إلى زوال، وحتى نظل في مدار وضعنا فيه، علينا أن نتعلق بالاسم..ولتكن شهية الحياة مرتبطة به..

كل من لم يتعلق بحلم هو بيده أخرج نفسه من سياق التاريخ، بل ربما طرحته الحياة وعاملته كشيء زائد، وهو بذلك ناقص، وكل ناقص يتجه إلى التلاشي.

●●●

٧

دائما للبدايات دلالاتها . وأنا كلما عدت إلى ما وجد داخلي، أقول كم كانت الأيام سخية معي وكم أنا رجل محظوظ، فمن عشق الروح قبل الجسد تأكد سفره، وأنا ما شدني إليك لم يكن جمالك رغم أنك جميلة، لكنّ شيء مختلف، عقلك ورقيك، رائع أن تعشق المرأة بسبب انتظام عقلها، أقول منذ البداية، نعم منذ البداية، رأيت نفسي أمام حال فريدة، من عقل يجيد بل هو جبل على أن يكون قادرًا على صياغة الواقع ، وجعل كل منصت إليكِ أن يكون بكامل وعيه معك، وأحيانا تابعا، وأنا كنت كل هؤلاء، وفى لحظة وجدتني أقول : هل يوجد بشر بهذا النقاء وهذا الوجود المستمد من فلسفة خاصة، لماذا أنت هكذا؟ كما قلت لك ، كثيرًا ما وجدت نفسي مقيما في عالمك، سافرت معك ولم أسأل نفسي: ثم ماذا بعد الحب؟ اكتفيت بأنك معي كالماء والهواء، في كل شيء توجدين، درجة من التوحد جعلت من الرغبة في الجلوس إليك أمنية، وبدأت أفكر في كيف أصيغ من وجودك حياة ألمسها، أقول أنها لي ،أنا كنت أسرع مما تصورت، كنت أرغب دائما في العودة إلى كل كلمة أتلمسها، صدقيني كنت أحيانا أجعل الكلمات أمامى وأتنفسها، الكلمة

تحمل صفاتك، غريب أن تكون الروح والكلمة في حالة امتزاج، قطع الروح بلا ريب هي كما قلت لك، أنا عشقتك كروح ، كوجود أجعله ملموسًا دائما لي، أيقنت وقتها أن حب الروح هو الباقي هو المشيد لحياة إن وجدت بقيت والروح المسافرة خلفك هي عندك، روضيها لو قدرت... هل تقدرين؟

الحب جاء وكنت معك، كثيرون فسروا كيف تتغلغل روح عبر روح أخرى، الكل اجتهد لكن حتى الآن لا نتيجة نهائية، لا حقيقة مطلقة في هذا الأمر إلا أن اللحظة التي وجدتُ فيها كيانك يسكنني وأصبح محورًا لكل شيء وقتها وقفت بعض الوقت مع نفسي، وكان السؤال كيف حدث هذا ولماذا؟ وأنا سأخبرك بالبداية: من عادتي ألا أكتفي بالتعليق على الأصدقاء، بل أمر على كل كلمة وجدت ممن علقوا قبلي، هناك في صفحة، أصوات كثرة منفلتة في تعليقاتها، وأصوات مغالية ومستعرضة لثقافة تحملها، ربما هي قشور، وهناك كنت أنت محلقة بصورتك، لا تفارقك، ولا تفتعلين، تعبرين بتلقائية غريبة، وكأن الكلمات أقامت معك علاقة بموجبها منحت بساطتها وصدقها، بحبل غير مرئي شدتني كلماتك، ورحت أمضي خلف نهرها، وحينما تعاظمت داخلي لهفتي لاكتشاف من تكونين، وقفت أمام البروفايل، شدتني الابتسامة الوقورة الحانية، والجمال الرقيق

الراقي، القابض على جمره من دون بذخ، فطلبت صداقتك، كنت كريمة معي، وفتحت لي مدينتك، مدينتك التي أصبحت زائرًا لها، بعدما كنت عابرًا، كان بمثابة حجر في جدار فيها، وسرعان ما أصبحت حياتي كلها، لا أرى حولي إلا ذلك الوجه الذي يمنح كل شيء، في كل صورك، وكل ما يرتبط بك، وأنا مسافر معك، وبك، ومتشربًا لكل كلمة تكتبينها، وكل صورة مرفقة لك، لم أتمن أن أكون جليسك، بل تمنيت أن أكون كوب عصير أو فنجان قهوة بين يديك.

إذا كان وجود الكيان العاقل هو بداية كل شيء مختلف أظهر لي نموذجًا كان له في واقع حياتي صورة كنت قد جمعت مفرداتها فتكونت وقلت هي هذه، وبقيتِ ساكنة في عمق عمقي، وجودك الذي راح يشدني وجعلني أدخل بهدوء. لم أتسرع و لم أمنح نفسي تأشيرة عبور إليك أو أن أخبرك حتى لا أفقدك إلا أنني بعدما اكتمل كيانك لدي، كان لا بد أن أتكلم. وبقيت أنا الذي ملكت أمره هو المشتاق إلى أن يكون قريبًا بصفته التي اكتسبها.

يظل الحب والتقاء روح بروح أمر يحتاج إلى درس، يكفينا أننا لا نسعد إلا بالسكن إلى تلك الروح وتظل أمنية كل رجل امرأة يسكنها وتسكنه، تصبح سماء تحميه تظله، ويد تمتد إلى

جراحه فتتدمل، هي جزء منه وهو جزء منها، ويبقى السؤال هل بمقدورنا أن نقف في وجهه؟ بعد أن ترقّ القلوب ويتناغم عزفها، بالطبع لا، ويومها لا مهرب إلا أن تكون القلوب متجاورة بأى طريقة يتفقون عليها.

تعرفين في اللحظة التي يوقن القلب أن عزف القلب الذي سكن تحت شجرته يوافق عزفه عليه أن يصبح مثل من ترك كل ملكه من أجل من أحب وقتها ستكون الحياة سخية معه، فالصدق حتما ولا بد أن يجد من يصدقه ويؤمن به ويتكاتف معه من أجل تحقيق ما يرنو إليه.

●●●

٨

مفتاح المحبة في يد الشوق...والشوق ما ابتعد عني.. مع الروح هو..عندما يشتد حضوره أتعلق بقرب أعرف كيف أجده.. الشهور الأخيرة جعلتني عابرًا لوقت أنت في غرفه.. دائما الأبواب مفتوحة لك.. فأنت وطن القلب.. حياة تنتظم على وقع أنفاسك التي أشعر بها..وشوقي إلى وطني لا حدود له.. تنام كل العيون وهو يقظ يغزل من الوقت حبات مسبحة.. لن تنتهي حباتها أبدا.. .فهل رأيت ناسكا غادر دوحته؟

في الشوق حياة أخري، حياة لا استقرار فيها، هي تشبه مسار الشعاع، له بداية، ونهايته دائما بداية أخري منها ينطلق، هو ترحال بقوة الحب إلي عوالم تفتح أبوابها، عوالم لا وجود لها إلا في قلب العاشق، لا حكم للوقت عليها، هناك حينما تنفلت اللحظات، فإنها تسلم نفسها للمجموع، وحينما يتراكم يصبح الوقت المسكون بك..وكأني أعيش حيوات لا تنتهي، قربي وحبي يضمنان لي خلودًا يتيح لذلك الكيان أن يظل كما عهدته في سفره الدائم إليك

وسط كل هذا النسق لحياة أصبحت راسخة، تظهر تلك الذات التي تسكنني، هي لا تتقيد بأي شيء، بل هي كلها ذلك الطفل الذي وجد معي، وكنت معه قبلك، الآن أنا كل شيء لتلك الذات، وكل شيء لمن ولد بعد أن لامس مطرك أرضي المجدبة، وهي في أرديتها الجديدة، لا يعيد لها نضارتها إلا أن تكون في متن أنت حاضرة فيه وبقوة، تسقط أمامها كل المرئيات، وتتجرد خصالك، وتراك في كمال الهيئة، قمرًا يسر الناظرين، خط الشوف منها إلى مستقرالمقعد، تحرسه عينان يقظتان، وقلب ما مل من ترديد تعويذتك...السعادة بوابة لمن اقترب.

كلما كانت تلك الذات قريبة، قرب القرب، كلما كانت قادرة على منح الأيام لقب السعيدة، وما تكون في مكان إلا وأنت هناك، توجدين في كل شيء يحمل روح الجمال، فتدور في مدار خلق لها، هي بك ومعك، ومن خلالك تولد حركتها، وتتكون تلك الشحنة التي تصلني، فتكون دافعة ومعززة لتلك التي أحملها داخلي، دوما هناك انجذاب، والمدار أحيانا يقترب من مركز أنت فيه، يصبح في وضع قرب القرب، ففي وضع الذات وهي في درجة القرب هذه، تصرخ لروحك: انتظري، لتشهدى لحظات احتراقي، وإن كنت كريمة، فانتظري لحظة عودتي..فمن كان في مثل حالي ستكون كل سعادته معقودة في السفر إليك بروح تصلي في محراب الطهر.

●●●

٩

كل اللحظات التي تنفلت تسأل، أين سأكون؟ هل سأطرد، أم سأكون في بيت ذاكرتك، هذا السؤال كثيرًا ما طاف في خاطري، وأنا أنصت للوقت، للدقائق وهي تغادر قبضة الزمان، وأنا كثيرا ما قلت، الوقت الذي يملأ الكون حولي بعطرك هو الباقي، هو المقيم داخلي، أفعل هذا، وأقول ما قلت لوقتي، الذي هو ملكي لأنني أعرف أن الحضور حينما يكون قويا، فأنه يسد كل أبواب أية خاطرة تأتي متلونة بصبغة غير صبغتها، وهناك سبب آخر، وهو الأهم، فأنا أمتثل لنداء طيفك، حينما أوصاني: فاذكروني أذكركم..وأنا بذكرك وبوجودك يستريح قلبي وتطمئن تلك الروح التي تسكنينها.

فلسفة الوقت، هي ذاتها، فلسفة الحكاية، ولأنى حكاء، فأنا أعلم أنه لا فراغ خلف حدوتة اكتملت، والحكايات المفتوحة لن تنتهي، لها الاستمرار، ولها الامتداد اللانهائي في الزمن، وأنا تمرنت معك على الصبر، فتخيلي كيف أنا الآن، فالحياة عشقي والإبحار علي قاربها لا يعيننني في تلك الرحلة إلا الإخلاص والصدق، هما مجدافا النجاة والبقاء على متنها، وحينما تبقي أكون أنا، وأنت الحياة.

فـلا معنـي لذلـك الوقـت، ولا يكتسـب بصمتـه، إلا مـن خـلال المحافظـة علـى لحظـات قـرب طيفـك، فقولـي لـه: يذكرنـي لأنـى دائمـة الذكـر لـه.

ذلـك التأكيـد، يمثـل نوعـا مـن الاطمئنـان عليـك.. ويبـدد كل القلـق عليـك.. .ربمـا شـعوري لا أسـتطيع التحكـم فيـه.. وحتـى لا أرتكـب أى شـيء يجعلنـي وحيدًا..أصبحـت جالسًـا، مكتفيًـا بالوضـع الـذي وضعـت أنـت حـدوده،. ورضيـت بوضعـي الحالـي.. ومـا أطلبـه مـن اللّه أن أكـون قريبًـا مـن روحـك فهـل بعـد هـذا القـرب شـيء آخـر.. يصلـح لتحقيـق معادلـة الحيـاة؟ ..بالطبـع لا.

●●●

١٠

استيقظت في الصباح وأنا أكثر اشتياقا إليك، هكذا تكون البداية..والإحساس مع دقته يحمل طلبًا موجهًا إليَّ..وهو أن أنصت إليك..وأن أكون رفيقا لطيفك..الطيف بطبيعته لا يغادر مقعده أبدا..في براح الحياة القائمة داخلي..لذلك بقيت في مكاني..ووجهت نظري إلى سقف الغرفة..ركزت كثيرا..فتحول إلى شاشة عرض..وأنت هناك..في مشهد أتخيلك فيه كثيرًا.. في صباح يخصك..فنجان قهوتك..ومقعد يواجه الشرفة التي ينساب منها النسيم المنعش..وأغنية تحبين سماعها..المشهد الثابت...جعلني أشعر بارتياح شديد...بل ارتياح بلا حدود، وعندما عدت لواقع وجودى...أحسست بشيء ينضج داخلي.. سرعان ما شكل صوتك..صوتك المضمخ بأريج السعادة..فجذبت التليفون من جواري...وأرسلت لك تحية الصباح..ثم جلست أنصت إلى صوتك وهو يردد نصوص الفخاخ تفقد صبرها.

شعرت بأنك مطر سقط من السماء على أرضي الجدبة، شعور أصبح قويًا، ففي كل الأزمات التي تمر بي، يكفيني من وقت لآخر أن أنظر إلى صورتك، يكفيني منها تلك الشحنة التي تصلني، فتقوي داخلي، ولم لا والحب في ذاته يحمل عوامل قوتنا وعوامل استمرار

الحياة ونحن نمضي، في دنيا أوجد الله فيها شريعة الحب، فطبقه البشر ومنه عرفوا سر السعادة، سرها في القلوب التي تحبنا، والتي نسكنها أو التي تسكنها، وبالأمس منحت الثقة لي حينما اخترنا الأغلفة، عبر الاقتناع أو الحوار، هذا كله يضاف إلى أرصدة السعادة، وأنا الآن أردد تلك المقولة التي ترتبط بي: لو كان الحب يعرف كم أحبك، لغير اسمه من الحب إلى اسمي "

أنت الحياة بكل ما فيها، والتي تمثل بريق الوجود، لا تساوي شيئا من دونك، فهي لها صفة الإحساس القوي اتجاه وجودك أنت، وهذا ما كان ليوجد لولا العلاقة الحية بين ضفتين جمعهما نهر يسير بهدوء، والصلة الحقيقة المشيدة على الصدق تبني نفسها بنفسها مع الأيام، والدافع إليها ينمو من داخل الذات التي سافرت في رحلة التلاقي والذوبان، ومن العبث حينما نظن أننا نستطيع أن نتخلى عن هذه الصلة، لكن المسموح به حتى تمضي الحياة وجود قدر معقول من المد والجزر، فهو وحده يمكنه أن يثبت أشياء من شأنها أن تقوي الصلة، أو تبعد شوائب قد تضر بها، وإن الأيام بكل ما تفعله، أو نوجده نحن، قادرة علي جعل الصلة باقية وقوية، حتي وإن حال الوقت والزمان دون ذلك، فهي ترق ولا تنقطع، لأنه سيأتي وقت عليها فتعود لسابق عهدها قوية كما كانت.

●●●

١١

يقاس العمر بعمق صلاتنا أمام النور حينما نلمس أطراف الأثر وترقص الروح هناك ، فالدفء إن لم يولد من جذوة بالداخل فلن يقام له وجود، فماذا تفعل مقومات الحياة إن لم تكن الروح عامرة بنور، لن تقام حياة بكل ما يجعلها راسخة إلا بوجود الحلم، هو وحده لحمة يصل ولا يقطع، والحلم صلة، في ذروة دورته امرأة تعيدنا للأصل لمستفتح الشهقة والصرخة والشغف، هي بدء الولادة وبدء الاتصال وبدء التكوين وبدء التشكي ومن يلامسه الحب يحوله لربيع دائم ، فيورق بكلمة، بقبس، وأنا أورقت ووجدت أيامي منذ اللحظة التي لامس طيفك داخلي فغشيني النور ومن بعده ولدت، ومضيت بصمتي، في حياة الحلم، فمن عاش فهو يؤمن بأن نوره داخلي، فالعتمة لا تهدي النور، وحده الحلم يقيم صلب الرؤية وينضج الروح فيكون سلاح المرء: أشرقي روحي، فلو تكلم الوقت وقتها لأخبرك بأن حال المهاجر مع النور نسقه من نورك ومن هذا الوجه الذي أقاسي معه حتى وأنا أنظر إليه، لأنه كلي!

بطبيعتي أصعب البشر في تقبل إقامة في أي مكان، حينما وقفت أمامك، كنت مشدوداً بقوة لا قبل لي في صدها، فالقوة

التي يعينها قبس هو في حركة في اتجاه حركتنا سنلتقي به في نقطة ما.

أيقنت في اللحظة التي وجدت في نطاق تأثيرك أن النقطة تلك لن تكون بعيدة ولا مستحيلة، لكن متى تركت الأمر كله لمدى تمكن الاثر مني؟

الجنة حينما تصنعنا فهي قد أوجدت الحدود، كانت روحك أكثر ما يميزك وقطعها كلماتك، مختلفة، فيها استثناء، وحدود تفاصيل مد العين إلى ما خلف المتاح.

●●●

١٢

لا يعرف الإنسان من دنياه إلا الوصال صفة وجدت له، فهو دائم الوجود، ودائم التفكير في علاقته بكل مكونات المحيط الذي يوجد فيه، لا يتركها ولا يغادرها إلا وهو مشيد لها، والحب أول تلك الصفات، منح للإنسان منذ بدايته، وجعل للنصف المكمل الذي خرج منه، وفارقه ليكون مثله، وحينما يعود إليه فهو يعيد اكتماله، فلا اكتمال للرجل من دون نصفه.

وأنا كنت كمن ترك اليابسة وراح يضرب في الفيافي، بحثًا عن رشفة ما، كان التيه والسراب والخداع من نصيبه، سنوات عمره التي فنيت كانت وقودًا لتلك المرحلة، صلته الوحيدة بالوجود أنه منح قلبًا مستعدًا لأن يلتقط إشارة الوصل، كان داخلي ينتظر الإشارة متى جاءت سافر خلف الطيف، وكان القدر سخيًا معي، لم يجعلني أنتظر كثيرًا، فبعد أن تجاوزت كل الصحارى وجدت نفسي في واحة فتحت لي ذراعيها، رحبت بي، أول مفاتيح الوصل هو، قبول الإقامة، وما تبع ذلك كان دوام الاقتراب، واختلاق الأسباب، وجعلها متوافقة مع العقل، فالمحب إن فارق دوحة الحبيب ضل، وأصبح شريدا مهما حط في ظلال ونام تحت جدران سيظل متلهفا للعودة إلى جدار هو جزء منه، وتلك هي عادة التعود

وفـى لحظـة مـا يجـد المقيـم ومـن اعتـاد علـى رؤيـة الجـزء المكمل يجد نفسـه متلبسـا بالمناجاة، وتلك تكون إشـارة لوليد وجد وتكوَّن، وأصبـح قـادرًا علـى الحركـة، ليكـون حيـث طيـف الحبيـب، يسـافر إليـه بروحـه، يكلمـه، ويديـر معـه حديثًـا قـد يطـول، يصبـح قويًـا وسـكون الليـل يحيـط بـه، وشـجيا وقـت الأزمـات، وممتعـا وقـت الفـرح، وعندمـا يقـوى ينتظـر الإشـارة مـن هنـاك، ليكـون الوصـل مولـودا في وضـح النهـار يومهـا بحثـت أنـا، سـافرت كثيـرًا، وحاولـت، لكـن لـم يكـن مـن طبـع المسـافر داخلـي أن يقتحـم الحصـن، خوفـا مـن فقـد كل شـيء، ولأن الوصـل دائمـا هدفنـا، كنـت أنـت مـن فتـح البـاب، ودخلـت إلـى واحتـك.

أحببـت فيـك كل شـيء تشـوفه الـروح ولا يلمس، يحـس بالقلب، وحـده هـو القـادر علـى القيـادة. قـال لـي قلبـي كثيـرًا: لا تتعـب في البحـث عـن شـيء آخـر فيفوتنـا التمتـع بحـلاوة اللحظـة. وقـال لـي أيضـا حينمـا بـدأت أبحـث عـن كلمـة تليـق بـك، لا تبحـث كثيـرا، قـل فقـط "أحبـك" فهـي تجمـع كل المشـاعر.لكن هـذا وعـدى: سـأجد لك مكانتـك بـين زهـرات عربيـات مـا زلـن في عقولنـا يعشـن، سـتكونين وأكـون، لا مـن بـاب الخيـال أمضـي، لكـن مـن بـاب واقـع مـا رسـخ داخلـي أكـون، سـأعرف جيـدًا كيـف أنتـزع لـك مقعـدا يليـق بـك.

●●●

١٣

سـأتحدث اليـوم عـن ذلـك الصـوت الـذي ينمـو في غفلـة منـا، ويأخذنـا إلـى المرفـأ الـذي توجديـن فيـه، عـن الاشـتياق، كلمـة تجـد لنفسـها طرقـا علـى الألسـن، فتخـرج مضمخـة بعطرهـا، نجـده في كل شـيء، لا أقـول إن المفـردات التـي تأتـى منهـا راسـخة، وباقيـة، بـل هـي متغيـرة، وصاعـدة مـع خـط صعـود الحـب وتمكنـه، منـذ البدايـة بـدأ الاشـتياق إلـى البقـاء معـك، تكونـت مفـردات أصبحـت محـورًا لوجـودي، كالـروح وسـكنها، والحـب ومـا هـو، وأنـت وأنـا، أشـياء أنـا سـافرت خلفهـا، مـن أجـل تكويـن صـورة دالـة لهـا، وتلـك كانـت مرحلـة أولـى مـن الاشـتياق، فوجـود الشـيء المتخيـل والقريـب إلـى النفـس، يصبـح دافعـا نحـو الصلـة المباشـرة، ولـم لا والحلـم في ركابنـا حقيقـة تحتـاج لوعـى يعـرف كيـف يوجدهـا، أو يوفـر لهـا السـبل لتوجـد؟ ووجـود العالـم القريـب إلينـا، يلزمـه تجسـيد الشـيء كمـا هـو في بيـت الخيـال، مرحلـة لـولا تمكـن ذلـك الإحسـاس في، مـا وجـد البنـاء، بنـاء هائـل شـق محيـط النفـس، كل مـا جمعتـه فيـه هـو لـك، كلماتـك وأفـكارك نبتـا الوجـود، ثـم كانـت مرحلـة الصـور، صورتـان كانتـا كفيلتـين بهـز عـرش البنـاء، كانتـا قادرتـين علـى وضـع اللمسـات الأخيـرة، وهنـا تضافـر الحسـي

مع الملموس، ونضج الحنين، العلامة الثانية للاشتياق، في تلك الفترة أصبحت صورة للجمال، أينما وجد تكوني، حضورًا أتاح لي أن أقيم حوارًا بيني وبين تلك الأشياء، كنت أحاور أكواب القهوة والشاي وأطباق الأكل والوجوه التي تجلس إليك، تلك الأشياء بطبيعة الحال لها همس خفيف لا يسمعه إلا من تحرك بداخله الحب، فكنت أمنحها الأذن والعين والأنف، كنت أكون بكليتي معها، وأكون معها حيث تكون لا أقول إن النجاح كان حليفي دائما، بل أقول كنت أحاول أن أكون ناجحًا.

تشبعت بك على البعد، وكان لا بد من وجود العامل الثالث للاشتياق وهى الرغبة، الرغبة في الصلة أن أكون في المساحة التي تخصك، وكلما دفعت نفسي بعيدًا وجدتني مقذوفا داخلك، مرحلة عنيفة في تشبثها بى، ودفعي إلى تلبية ما تمليه عليَّ، ليس من باب إراحتها، ولكن من باب تثبيتك كوجود، وكان لا بد أن أكون في محيط واحد يجمعنا، في وقت نكون فيه معا، لا شيء كان يملي عليَّ ذلك الوجود إلا ما استقر داخلي، وأصبح في حال متكاملة، وناضجة، وبلوغ الشيء الكامل أو بعض الكمال يزينه، ويجعله قابلا لأن يصد أي دفقه ريح مهما كانت قوتها ومهما كان اتجاهها، سيكون البناء راسخا وقويا، وقادرا على إظهار إمكانياته التي يدافع بها عن وجوده.

وبقـى أن أتحـدث عـن العامـل الرابـع للاشـتياق وهـو تخيـل كيـف يكـون اللقـاء، مـا مـن مـرة ، جلسـت فيهـا مـع نفسـي إلا وسـافرت إلـى مـا يجـب أن يكـون، ومـا يجـب أن يتـم ومـا يجـب أن نتكلـم فيـه، كل دقيقـة مـن دقائـق اللقـاء كنـت أعـد لهـا، وحينمـا كنـا نلتقـي، كان كل هـذا يتلاشـى، لأنـك وقتهـا تكونـين أنـت التيـار وأنـا سـفينة عليـه.

●●●

١٤

سعادتنا في حياة وجدت، استمرارها يرتبط بمتانة البنيان الذي شيد بداخل كل واحد، وعلى غير إرادة منا نقف كثيرًا في محطات سبق أن وصفت لنا، نتأمل ما وجدنا على أرض الواقع، ونقارنه مع ما بقي في الخيال، وقتها نكتشف أنه لا تجاوز ولا زيادة، وهذا يستمر، ويستمد دوامه من ارتكاز السعادة على صدق المشاعر، وإخلاص القلوب التي رضيت بأن تكون أسيرة، كل قلب يسكن عند الآخر، وهل بوسعنا أن نعترض؟ أن نقول لماذا كل هذا التطابق بين واقع ما وجد ومنطق ما قيل قبل تلك المعايشة على أرض الواقع، لا نستطيع، لأن كل شيء مستمد حياته من وميض يسكن الآخر، هل في الملكية ما يشين، ما يجعلنا نرجف خوفا من ذلك التحول، وذلك الاهتمام الذي وصل لحد الملازمة، فلو وجد الإنسان وحده، من الذي يقيم معه وشائج القرب التي تعني كل ما يتعلق بالوجود؟ من الممتع أن ينصف المرء صاحب الفضل عليه، وأنا إذ أكتب الآن، فأنا أعيد كل شيء حدث، وما زال يحدث، وسوف يحدث، أعيده لك ولتلك النظرة التي نفذت فيها إلى وجهك واستطعت أن أقرأ ما فيه، تلك الصورة التي أرسلتيها اليوم، صادقة نظراتك، تنادي

عليَّ، وقتها لولا تفوقي على الذات التي أنتمي إليها، ما بقيت هكذا، فحينما نمضي في الحياة بقلب يدق، لا يرضي كثيرًا بأن يصبح في مستقره هادئًا، بل يكون دائم الحركة، ودوام حركته تعني ارتفاع صوته، وهذا الصوت يصبح مصدرًا للتحليق خارج الحدود التي وضعت، يفعل هذا، سعيدًا لأنه لا يجعلني أخفي رغبة سفري، فلو حدث وتم الإخفاء، فأنني سأكون على قمة جبل الانفجار أقف..إلا أنه هو القرب الذي يبهرنا ويسحر كل عين تتطلع إليَّ وهي ترى مقدار السعادة التي تعيش معي، وأنا من قال: فضاء شاسع يحيط بى، وشاهد واحد يظهر، يحفر في عينيّ أثره، من غير إذن تكونين أنت، راحلة في عمق عمق ذاتي، هناك سوف نتقابل.

متعة الفعل تأتي من تلقائيته، وحينما نقوم به لا يهم السؤال إلى أين نمضي، فالفعل في ذاته يحمل بعضًا من ألق الحياة، والحياة لا تستقيم من دون جرعة من الجنون، فكيف نكون في دنيا، ولا نمنح أنفسنا تلك المساحة من الحرية التي نرى فيها كل شيء، وربما في تلك المساحة نكتشف ذواتنا، ولم لا؟ والعين وسيلتنا نحو إدراك ما هو كائن أمامنا.

●●●

١٥

كل لحظة منى تمضي هي لك حتى لو احتجبتِ، أحج إليك حينما يأتي الليل، أتقاسم معك كل شيء، أنفاسي، آهاتي، أحلامي، رغبتي، كل ما لم أكتبه وكل ما سوف يأتي، ورحلتي التي لا يشاركنى فيها إلا طيفك، إلا همسك، والأشياء التي تحبينها، التي عرفتها والتي أجهلها وكل من يراك، ولا ينظر في عينيك، سأخبره أنا ذات يوم أننى سرت بجوارها، رافقت خطواتها، وجلست إليها، وأنفاسها اقتربت منى، وألقت بي للبعيد. سأقول لكل من يراك، ولكل مكان توجدين فيه، ولكل كرسي يضمك، ولكل غطاء يدثرك، وكل قطعة ملابس تحتوي جزءًا من جسدك إنكم تقبلون أجزاء منها، ربما لن أراها، لكن ليعلم جميعكم أنها لي، لن يمضي ما بي، ولن ينتهي، سيكون له البقاء التام، والثبات الدائم، والخلود الأبدي، مهما فعلت الأيام سيظل الرحيل والهجرة، والسفر، والإقامة، كلها مرادفات لي، كلها تحمل قصة حياتي، كلها لن تنقص من نورك، ولن تنتهي ولن تبعتد ولن تنثر، ولكن سيكون كله صحو لا محو فيه، لنداء حياة، والصوت جزء من كل، والهمس عناد الحبو حتى يكتمل الحلم، والقول الفصل لا وجود له، ما دام العناق قائمًا بين قلبين، وروحين وجسدين، وما عدا ذلك هو لغو،

لا محل له ولا قيمة في مدار هو لك، ملكك، وجد لك، لا نظير له، وأنا عليه إليك انتسب، إليك يعود كل أصلي، كل حلمي، كل خطواتي التي تبني للغد، والطيف يحكم، يأمر، ويلقي بكل ما يرغب فيه، وأنا أمضي في طريق النور، زادي هو، شحنتي هو، علاماتي هو، المرشد هو، وجيبي مثقل بكل شوك، أرفعه عن طريقه، حتى يكون في ذروة البهجة، والرغبة، والشبق، والعناد، والتمرد، والسعادة.

في حياتنا مهما طلبنا من صلة لا نجد إلا التي تحيي، التي توجدنا على طريق كل ما فيه يغري، ويشد، ويجعلنا تابعين لكل ما سوف يولد منه، هذا الفعل أو هذا الحدث، أو هذه الصلة، ترتقب التلاقي، ترتقب العزف، ترتقب الصوت الختامي لو كانت فعلاً واحدًا، أو أصواتا متتابعة لحركات تتلاحق، بين التحام وفك حصار، هي دائما موجودة، في اللقاء بعد غياب، وكأننا نردد قول محمود درويش، نقصتني وأنا حضرت لأتملكك، تعيدنا لنسق الصلة، لبدايات التعارف، فهل هناك أفضل من صلة نبض بآخر أكثر نبضا، من تلاقي يولد على حد اللهفة والوجد

فهل هناك صلة تفوقها، تبني ولا تهدم، هي تولد على حد اللهفة، وتؤدي بنا لإعادة تشكيل الكيان؟

●●●

١٦

مـرود الكحـل يمتشـق الرمـش، نصلـه الحـاد، موغـل إلـى عمـق ذات تبحـث عـن الشـاطئ ، أطـل علـيّ في دجـى الليـل واصطفانـي، ليـس مـن وقـف كمـن مكـث، واحتـرق فـكان رمـاده بلـون الضيـاء، وبلـون السـماء المكسـوة بالنـور، والنـور منفلـت منـه شـعاع وحيـد يطـارد اللامنتهـى، كثيـف وحـاد نصلـه ،يهـوى الإبحـار، وتغويـه معـارك يتقنهـا، وإن تـزاوج مـع مثيلـه حجـب الضيـاء فـلا راحـل ولا رحلـة، ولا منتظـر علـى حـد موجـة، ولا قـارب يجـوب الموانـئ طلبًـا لهدنـة، فالمعـارض جـد قائمـة، واللهفـة مفتتـح القصيـدة، والفتنـة قافيتهـا شـغف، وأنـت أميـرة في هودجهـا مـع النسـيم راحلة لمنتصف الليـل، حتـى هداهـا خطوهـا للبحـر، فمنحتـه ظهرهـا، فتلبسـها النـور وذاب، وعانـق المـوج منكسـرا قدمـين مـن لؤلـؤ الجنـان، ويديـن باسـطتين للقـد بيتًـا مـن ذات القصيـدة تقـولان أدمنـا العنـاق وكتابـة الطريـق، فيـا كل راحـل ومنتظـر لا البحـر غـاض، ولا الطريـق غـاب، لكـن مـن رمـاه رمشـها اسـتفاق، وأيقـن بـأن فـوق الحيـاة حيـاة هـو علـى بابهـا يقـف، مـع سـؤال وحيـد : مـن تكونـى حتـى تخرجـي المـارد مـن غفوتـه؟ فيجعلنـي طريـدًا لا راحـة لديـه ولا مسـتند هويـة، عصـرتِ العـين فأبحـرت وحينمـا رسـت علـى الشـاطئ اللجي كشـف

الموج لي عن لؤلؤة، فممدت يديّ لاعانقك من الخلف، فانقلت السيل من بين أناملي، فكان خيط الماء فصيحا وقت أن أطل من بين قطراته طيفك، انتظرت والدقائق ترحل ببطء وعناد وتجادل وكر، وفنجان قهوة مقلوب بداخله طيفك وعرافة جاءت من تزاوج الصحراء بالبحر، غمدت عينها وقالت: ولد البدر

●●●

١٧

حينما مر المشاء على عدد من الساهرين، جلس بالقرب منهم، وهو يردد: صحبة وأنا معهم، سمعه أحد الجالسين، فانضم إليه، وسأله: لماذا جلست وأنت المشهور بالمشي ولم يسجل عليك أنك رضيت بالإقامة، ضحك وقال: بينكم أحد العاشقين، سمعتُ روحه تترنم بأغنية لم أفهم معناها، فجلستُ ليتاح لي الفهم، ضحك المفارق للساهرين، وقال له: ونحن مثلك ما زلنا على الطريق، وكل ليلة نقول غدا سوف ندركه، ويأتي الغد فنمد الأمل على براح القادم، فالليل سفينته ونحن مريدوها..

فارق المشاء الجلسة، ومضى وسط سكون الليل والأغنية تلاحقه، كلما أوغل تكبر، وتتحول لشجر، منها من يمنح الثمر، ومنها ما يمنح الأريج، فلما نظر خلفه لم ير البشر، أخفتهم الأغصان المتشابكة، والأغنية ما زالت تتردد، ولما ملَّ من الوحدة، همَّ بقتل الأغنية، فتصدت له، وقالت له: أنا تسلية الساهر، فاقترب منها وهو يقول: بل أنت كذبة كبيرة، تحفزت أكثر، وقالت: هو من صورني، لو تملك تغيير واقعه عد إليه، واقتلني، نظر إليها، وابتسم، وقال لها: غلبني النور الوليد، في الغد لنا لقاء، فنامت الأغنية قريرة العين، بينما المشاء مضى يعيد ما حدث لعله يلملم المتناثر منه، وهو يقول: جدار الروح لا يستند عليه إلا من لمسه.

وأنا أقول صوت العقل وحده لن يوجد شيئا نعتمد عليه في بناء واقع نحبه، لأننا سنوجد في نطاق حدود كتلك التي تحكمها الأبعاد وفق عملية حسابية، لذلك فوجود الإحساس القادم من منطقة اللاشعوري ضروري وملزم لحدوث التوافق والانسجام.

فالأرواح تحلق فى دنيا هى لها، تشرق فى وجود ما كانت لتوجد إلا لأنها هناك، حيث الجسد وعاء الروح، وحيث الصفاء الذى لا تشوبه شائبة، وحينما تكتمل الأرواح، فلا قدرة على فك ذلك العناق.

فالحب يأتى بلا سبب، موجة عالية الشحنة تجعل الواحد يفقد توازنه امام من يحب، يجعله تابعا لظل هو يريده، أينما كان يكن معه، يشغله عن العالم كله، بل يتوحد معه، يصبح هو والآخر بمثابة الواحد الصحيح، اكتمال حتى فى البعد، التحليق كطائر يعرف موطنه مهما غادر وشاف، حتما ولا بد أن يعود، ومن يقترب منك، ويعرف كنز وجودك، يقنع حتي بجدار يلتصق به، يصبح جزءًا منه، يطل على شرفة هى لك .ومن أحب وسكنت صورة محبوبته قلبه، لا يملك من أمره شيئًا، تلك حقيقة، ويصبح شعاره: أنا الآن ظل لظلك، أحملك أينما ذهبت، اجدك فى كل شيء.

●●●

١٨

أحبك بطريقتي الخاصة بها الهدوء والصخب والجنون أحيانا ،أمنت بكل ما فيك فذات يوم سأل عراف قريتي

- ومن منكم يعرف غربال الماء؟

كنت أنا مع الجلوس، وكان صوته يملأ الساحة ويتسرب للبيوت كنت صغيرًا والصغير إذا ما جلس أنصت، وكان موضعه خلف الكبار، يجلل هاماتهم الصمت، وأنا في مكاني حيث انتهت بى الجلسة وقفت وقلت: أنا، ولأنه الخبير في وزن أقدار الرجال، نظر إليّ، ولما استبان له من أكون، ابتسم، وهز رأسه، ثم ضحك ولأن القلب الذي تربي على الثبات ما ارتجف، أعاد النظر إلى، وقال لي :

- أتحب الترحال؟.

قلت

- ما دام القلب أذن.

- والطرق؟.

قلت:

- دائما تمنح من يحبها بعض سرها.

- والباقي؟.

قلت:

- سيأتي مع الوقت، فكثرة المشي تصنعه.

- والصحراء؟.

قلت:

- شاسعة.

- ورمالها؟.

قلت:

- لا أزرع فيها فهي بيت السراب ضحك الرجل.

- أقبل.

قالها، فدنوت منه، فنظر إليَّ كثيرًا ثم قال لي:

- ارحل خلف حلمك ستجده ظاهرا في نهار الوضوح، ومستقره واحة تخصك.

فكرت كثيرا جدا في الواحة، الواحة نبض وجود مكان يعطى لساكنيه صفاته نبعًا وشجرة ، ومن حوله تتناثر البيوت دفء وجود، ووجوه تبتسم للخضرة ، وعيون ترسم للأفق حدود وقلوب ترقص مع مغيب الشمس، وفى أنس القمر تكون شهرزاد الحكايات تخط للعيون حدود الكون وللقلوب سكنها الدائم ، فتجلجل الضحكات وشخللة الأساور في أيدي الناس وقت أن يضرب الكف بالكف، صورة ما أحلالها وما أحلى هذا العالم الذي سندخله معا ، واحتى أنت، كل مفردات الفرح من عندك تأتى، أنا العائد من جوارك بفيض من سنا نورك، بقبس من شدو ألحانك، ما شبعت وما قست عليّ نظراتك، كنت تحت ظلهما مستريحًا والوقت كان في غير صالحنا، تمنيتُ وتمنيتُ وباتت أمنياتي سجينات صدري، رغم ذلك فإنني في قمة التتويج كنتُ وخطواتي تغزل مع خطواتك لحنهما، ياه منها اللحظات بخل الوقت، لحظة أن ضاق وأنا وأنت في رقصة التحطيب نلف وندور هائمين كمن يرقص مع ملائكة السماء، ياه منها اللحظات ومشهد الوداع ما كان يكفيني معه عناقك ، كنت أتمنى أن تزرعيني داخلك وأمضى معك حيث أنت تكونين، لكنها ستبقى أمنية على مشجب الأيام، حتما سيأتي يوم حينما نخرج إلى المروج، سنعود ذات مساء لعش هو لنا، يقولون أن الماء أبدا لن يسد ظمأ الرمال، وأنا أقول الماء ينتهي والرمال

ما شبعت، إلا كلمات المحبين، كلمة واحدة صادقة تذيب جسدًا، وتحيي آخر، كلمة واحدة تفعل هذا وشهرزاد قلمت أظافر شهريار بالحكايات، وواحتي ستكون واحة بوح للاكتمال، لا غالب فيها ولا مغلوب، هي لاكتمال الواحد صحيح.

ابتسمي وتأكدي أن ما استقر لا يمحوه إلا الموت، ولنعش اليوم بيوم ومد حدود الشوف للأمام، لندرك ما سوف يكون لنا على حدود الحلم نوجد، لا على حدود الحزن، فهل لنا حياة أخرى لنعيشها؟ واحدة هي، فلم نثقل على نفوسنا؟ لم نحملها بالكثير؟ أنا أقول هذا لنفسي قبل أن أقوله لك، لنكن أبناء نهار يشتهينا ويشتهي منا البقاء.

●●●

١٩

هل لليل شاطئ لتقف عليه كل الفراشات؟ لتشهد لحظة احتراق من دنا فأدرك، لتشهد ارتقاء الروح لمسارات التخلي، ولتشهد انعتاق كل شيء مادي ، ومولد الوعي المدرك في عالم الشعور، هل هناك من شهد؟ أم هناك من رأى وغض الطرف، فكل راحل خلف النور مرتقب على مرفأ، وعلى هدي المنارة يوجد قبسه، فلا ينحرف، وإن ضاقت سبله، يقومها بوقفة، فإن لامس الفؤاد مبعث التوق، رنا، وتطاول في رقيه، لسدرة المنتهى، وقتها يقف العالم كله، ليشهد هذا الميلاد الخالق لما هو معجز، فهل بعد السكن بجوار النور من شيء يطلب؟ ويعمل من أجله، لا شيء بعده.

فالمنارة ولحظة ترقبها، والعين موغلة في اتجاه الضوء، والسكون، والثبات، والعالم كله في انتظار الفلاش، ليحمل صفات من صنع الأثر، لحظة سوف تدوم، وترسخ، تنفر، وتسافر متسلحة بالحَسُن وبالألق ، وبما وجد من كلمات، وقت أن لامست الحروف نبض الشفة ككأس، تمنت لو ردت للأصل، للرمل، للفرن، لتتضج من جديد وتعود كما كانت، كما وجدت، كما حدث لها أن احترقت، نبض شفة يعانق زجاج فيتلاشى،

فكيف بمن حبس تلك اللقطة في إطار جامع؟ كيان يضم إليه جزءا منه، هل الحسن منحة أم هبة؟ أم هو تجلٍ؟ فيكون الساق فوق الساق، والأسود يليق بكيان تجرد، فصفا، وامتزجت فيه كل النسب، فلا هو منفلت، ولا هو متوارٍ، هو بين بين، فحال الحياد ـ أحيانا ـ تريح، وتوجد فسحة من وقت يمنح قدرًا للتأمل ومن تأمل على حافة الوقت وجد، وراح يرتقي، وإذا ما سكنت العين، والكأس للمنتصف بها الشراب، والاحتواء واللذة، والقدر الكافي من التشبع فهو مهاجر حيث عناقيد النور العلوية التي تريح روح لا تسأم الاستقرار، سكر الوقت، والناسك يعشقه، أما المنتظر لهالة النور فهو نبي يريد أن يبلغ رسالته في زمن لا وجود للرسل فيه، إلا في عالم الضياء، حيث الفراشات الحائمة حول ألسنة اللهب، واليد التي تلامس كأسًا بها الشراب، والشفاه اللهفة للهمس، والعين التي ترقب قادما تأخر، يرتقب صوت تنفس الروح، ما من بشر يملك منعها، ولا منع تنفس الجسد، وكل نبض وجد على حد مرتقب هو دال على مستقطر الجمال، في قنينة واحدة، هي أصل الشراب المودع في الكأس التي تنتظر الاحتراق من ملامسة الشفاه، ورغم كل هذا فلا حياة تكتمل إلا عبر شرفة نطل منها على حياة وجدت، هناك حيث انتظام حبات العقد في نسقه، لا يحتاج للسفر، بل هو من يُحج إليه، هو من تشد إليه الرحال لروح أو لكيان أو لفكرة الجوار، ليس

كل مرتقب هو في حاجة، لكنه في انتظار لأن يمر عليه عابر سبيل، إن منحه قبسًا عاش، وإلا تحول لحجر في جدار ينتظر لمس يد يعرف نبضها ليخلد.

وما بين الارتكاز والنور مساحة معتمة، فيها تضرم النار، ويولد الشرر، ويغادر منه شعاع يركب صهوة الجموع، يحتوى بعناق، ليمضي الوقت متمايلاً بين ثورة واحتواء، ومبلغ القول فيه أنه حياة ، كل ما فيها مغدق، ماء عذب ومزيج معتق من عين كل ما فيها عسل يحرق البدن، ويشفى علّة المشتاق.

فراغ الكأس، وسكون الجسد اللحظي، لوحة مولد المنتهى، حينما يغشاه المطر المغدق، فيُغرق مكمن العطر، ويرتشف حتى يثمل، وحينما ينام بعد غلق بوابة الليل، يبتسم، ويقول: منذ متى سكرت؟ تبا لمن ظن بأني سأفني يوما من حرب ما رتبت لها، فلا عمر لها ما دام داخلي ككأس نبيذ تشتاق لفم يرشف ما بي!

●●●

٢٠

رأيت فيما يرى النائم، كنت أنتظر مجيئك، بيني وبين المرآه نظرة، خيال وأمنية، وكما يحدث دائما رأيتك في المرآة من خلفي تقبلين، فتحت الباب سمعت صوتً ركز قدميك الحافيتين على الأرضية ، لم أتحرك، وبقيت أراقبك من خلالها وكأنني لا أراك، كنت أتخيل ما هي أول الأشياء التي ستحدث والتي ستلمسينها في جسدي قلت أتمنى أن تكون مسرعة في هذا فجسدي لم يعد قادرًا على الصمود أكثر، مسافة قصيرة تفصلك عني وقلبي تتسارع دقاته معلنا قرب هلاكه، نظرت في المرآة لأرى مدى استعدادي لملاقاتك، رأيت على شفتيك بعضًا من بقايا قلم الشفاه، وردي خفيف كما أحبه والكحل الأسود غطى جزءا من عينيك، كنت في طبيعتك لانك تدركين أني معتدل بكل شيء أحبك عفوية ومجنونة أيضا لذلك حرصتِ أن تغطي جسدك بقميص أبيض شفاف ليكون الجنون فيه كما أحبه، وكما أتصوره، حرصتِ على رائحتك الطيبة التي تنعشني وتجعلني أقبلك أكثر، كان قميصك شفافا للغاية، تعمدت أن تجعليني أرى حتى خطوط الزمن في جسدك، كنت تبحثين عن تقبلي لك، القبول الذي لا يبالي بالسنين، فيما بعد قلت لي

عن اللحظات التي سبقت هذا اللقاء: أثناء وجودي في الحمام، داعبت كل جزء في جسدي وأنا أتخيلك تلمس شعري وصدري وحتى فخذيّ كان لهما النصيب الأهم لأنك هنا ستسعد وهنا سأموت حبًا، وأنا هناك اشتعل جسدي فجأة، باغتتني يداك على رقبتي مع قبلة حنون ودافئة تقول اشتقت لك حبيبيتي.

شعرت بأنفاسك تتصارع لالتفت لكِ وأرى وجهك، نظراتنا تلاقت وكان كل شيء مباغتًا لم ننتظر أكثر لنهدأ، ارتمينا على سرير رتبته بعناية وقلتُ لك: لندخل هنا أحب السكينة معك. وغطاء خفيف لامس جسدينا، أخذت أقبلك بشراهة ماتعودت عليها، قبلت كل قطعة من جسدك ،رقبتك فمك وصدرك هنا كان موتك المحتم، أشعلت نارًا لا تهدأ، قبلتك وبين القبلة والأخرى اللسان يغور وأصوات القبل تعلو احتراقًا، وضعتِ رأسك على صدري المكان الأوسع، المكان الأحن، المكان الذي تتمنين فيه موتك، وقبلت صدري، وقلت لي سأقبل المكان الوهمي للحلمات، في ذلك الحين سألتني: لماذا يحتاج الرجل لها ما العبرة في ذلك؟ قلت لك، سأخبرك بالإجابة، وكنت مع نهدك، جعلتك تكتشفين أنه مكان حنون يتصل بالقلب ومايشعر به يسارع إلى مسمعنا، وما أدري إلا بصوتك يتعالى ويتأوه طالبا المزيد وأنا فوقك وضعت كل ثقل فمي على صدرك قبلته

إلـى درجـة شـعرتِ أننـي طفـل يريـد غـذاءه كلـه، قلبـك كاد أن يتوقـف فدفعـت بـي إلـى الأسـفل فقبلـت بـراح جسـدك وسـارعت إلـى سـرك فاقتربـت مـن وجعـك ومـن حاضـرك وغبـت إلـى درجـة لا أدري كـم اسـتغرقت ولا أيـن صوتـي وصوتـك وأنينـي وأنينـك وقوتـي كلهـا فيـك أدفعـك كمـا أشـاء وكمـا يحلـو لـك ولـي، نتوجـع معـا ونفـرح معـا ونطلـق صرخـة المـوت حبـا، وفي لحظـات كنـت لا أبالـي بصرخاتـك وبوجعـك كنـت أريـد أن أرى سـعادتك معـي هـل حصلـت أنـت عليهـا؟ وانتهـى كل شـيء بنظـرة وبسـمة عظيمـة حتـى ارتمينـا متعبـين وسـعداء فنظـرت لـك وجدتـك تغمضـين عينيـك فعـدت إلـى ذراعـيّ مكانـي الدافـيء ونمـت نومًـا عميقًـا .

●●●

٢١

أتعرفين كيف تمضي الأوقات بمن رأى النور فسار؟ وفجأة حجب عنه، ربما لو فكر في ماديته انتهى، لكنه يتمسك بما استقر داخله، يحاول جاهدًا أن يحييه ويجعله موجودًا، فيعيش وجعًا خاصًا، ألم يثبت النور، ويجعله موجودًا حتى يمضي فلا يكون ولا يظهر إلا بمعدل سفري إليه، بمعدل قربي منه، بمعدل الاهتمام الذي يبني ويشيد، هل نرقص لأننا في ترف؟ أم لأننا في حاجة لأن نوجد بؤرة مضيئة داخلنا؟ ولأن الرقص في طبيعته أورجازم الجسد، كذلك النور هو ضابط الإيقاع لي، فنورك وحضورك معا يوجدان كياني، ألم أقل لك إني معتقل فيك يا امرأة داعبت كل مكامن الزهد فيّ، فعادت راضخة تطلب الحياة، تطلب النور، تطلب وجودها، وتقول إني عدت بعد موات، عدت لأتنفس من جديد، وليكن وقع النور وقع من عاد بعد انقطاع، عودة من تجرد وارتدى وضوح النظرة حينما تشمله، يعود وهو يدرك أن ما وجد هو له، ولأنه النور ولأنه الحياة فلن يبخل على من صادفه فملكه، فدائما ترتشف العين كيانك فتنمو داخلي الأمنيات، وعلى متنها أوجدك كما أريد وكما أحب، كقمر كلما دنوت منه يستدير في تمام نوره يغري، ويقول أنا ما

بعدي دليل، فعنفوان القوة ارتقاء نحو سدرة المنتهى، حيث لا دليل ولا وقع لأقدام، هي أنفاس تمتزج وماء يختلط وليل يسيج همس العيون، ولا أثر لمن يرسل خاطرة ولا كلمة ولا حرف فمن وجد على سطر يتقن مراقصة المعني فقد أوجد لنفسه متنًا لن يفارقه، فهو حينما ينضو كل ما ارتسم فوق غصن نبت من عطور الجنة، يعيد للكلمات قوتها ومدلولها وإتقان رسوخ حرفها، واليد وقت انسيابها على رأس توج بسواد يحاكي الليل في رسوخه، هو كموج البحر في جذره ومده يعيد تشكيل الشاطئ، فهل شكى يومًا الرمل من طول معانقته للماء؟ أم هو في شوق مستمر لانفلاته وعناقه؟ ما من لمسة توجد إلا ورعشة تولد، تميت وتحيي وتضع أوزارها، فتكون كوردة فكرتها في أثرها فما بال اللمسة والعناق إذا ما أوجدا صوتًا يدل عليهما، صوت ارتشاف الشهد بيتًا من قصيدة، قافيتها مستقرة على شفتين بلون الفرحة، وبمذاق الخمر، حينما يملك الوقت صوتهما يمرر في الأوردة رذاذ السعادة فيتماوج الجسد كما عود الورد وقت معانقة الريح له، وقت ملامسة الهواء، فيختل، وتطير نظرة فتنام في عينين في سوادهما تسكن صورتي، فتدنو الخطوات، وما بين الجسدين تمحوه اللهفة وتكون النتيجة، اقتناص السعادة على قيد مد الفكرة، ومولد الآهة التي تسري في الجسد كسيل كسر سد أقيم، تجتاحني دفقات الماء فتغسل ما بي، وصوت يردد

أنفاسي نهج من مباهج قد اريقت في تجاويف ظهري، فلا نهاية لسرد الأهة، ولا نهاية لوقع لفح أنفاسك على وجهي، صهد مسكر ومغرٍ في آن وما بين الحركة والأخرى، أنامل تمسد مكمن الوجع، تسري وتنظم جسدي بسجد يئن من وقع السفر، الأنامل تمهد أرض ما عادت تنبت إلا من وقع غرسها، من وقع تمرد الأظافر إذ تغوص في الأديم من وطأة الاقتراب ومن انجراف مياه السيل، ما بين الضمة والأخري زمن من الرحيل يأخذنا إلى عناق أعناق الورد، ولمس عسل الجنة، وتلمس ما بها من المباهج المؤجلة، وقت العودة هو وقت ضمة تولد الصوت وتقوى الآهة، وتزيل الوجل، وتقول لمن حن أجل لحظات النعاس فأنا على سفر وارتقاب محطة الوصول هو ما تقتضيه رحلة النور، ورحلة النور وقت قرب الفيض، هي لحظات تشكل الجسدان وتعيد لهما ارتعاشة الحياة، فترمي عنهما كسل الأيام وتشق في متنهما ما يدفع الوقت لينمو ويشرق في داخلهما.

●●●

٢٢

العاشقون وحدهم من يقدرون معنى الرحلة مع امرأة تشبهك، فهم في كل لحظة تمر يقيمون احتفالاً للاحتفاء بالحياة لذلك لجأت إلى فكرة المرافقة، وكأننا كنا نجلس إلى طاولة أو مقعد متجاورين عليه كعادتك دائما ترتشفين القهوة أو أى شيء آخر، دائما يكون معك، أو يكتب أحدنا خطابا إلى الآخر، يحشد فيه كل ما لديه من كلمات تحول من تمر عيناه على حرفها إلى كيان مسافر إلى صاحب الخط.

والآن أتطلع إلى الشاشة المضاءة، واللحظات مسافرة إليك، ورأسي المسكون بزخم الساعات تتقافز فيه الصور، كل واحدة تريد أن يكون لها صدارة المشهد وأنا في حيرتي، لكن أنا الآن أقطع هذا الشجار، وأختار أروع تلك الصور ألفة إلى نفسي، تلك الصورة التي تقفين فيها بجوار خوان مرتفع، والرداء الأسود يطوق جسدك المحاط باللون الذهبي من ستائر، وحزام يطوق خاصرتك، والمرآة تعكس الصورة نفسها.

صمت رائع يساعدني الآن في أن أقترب وأمسك بيدك، وقلبي يخفق وأناملك تلامس أناملي، ويمضى كياني كله والعناق

في اكتماله، والسؤال بيت المعرفة يولد من مخرج شفتين رائعتين: إلى أين؟ تتدافع النظرات إلى شجرة وقعدة تخصنا نريدها، فمضينا حيث المكان المعد، وتركنا خلفنا صورًا كثيرة متصارعة، صور لك، نظرت إليها، وأخبرتها لكل واحدة مكانها في القلب فلا قلق، سيأتي وقت خروجها للنور، فسكنت.

جلسنا ، وكفاك مستسلمتان على حقيبتك وأنا مثلك، ونسمة خفيفة تأتي فتلاعب خصلة من شعرك المتموج، النسمة تبتسم لي، وأنا أنظر إليها، أحسدها، هي قريبة منك، تتنسم عبق وجودك، تعرف جغرافية تفصيلة من تفاصيل كيان لا يعادله الآن على الأرض كيان آخر، فالرجل الذي تباغته امرأة وتسكنه، تكون لديه نوبات جنون، منهم من يعرف كيف يروضه، ومنهم من يمضي خلف جنونه، ويسرف في معاقرة خمره، فيكون دائما في حال سكر، خمر الحبيب دائما مطلبه، تعرفين أنا مع الصنف الثاني ، ها أنا أمد يدي أعانق الخصلة التي تتلاعب بها النسائم، هي بين إصبعين لي، يا الله!! إنها تتكلم، هل تعرفين ماذا قالت، تريدين؟ وأنا لن أقول ، يكفيك أن تعلمي أنها استكانت، ولم تسلم نفسها للنسيم، يا الله!! كم هي رائعة لمسة الحبيب، وكما أنا رجل محظوظ كوني أجالس امرأة مثلك في مكان عزيز علينّا.

وأنت أمامي، تنظرين إليَّ من خلف الشاشة، كأم تضم طفلها بحنان، تسرح في ملكوت يخصها، أتركها، وأبحر أنا مع ملامح تسكنني. والساعات تحاصرنا، تلخص مشهدًا فريدًا، أنا مسافر إليك أحاول أن أعبر، وأنت تنظرين في نفس جهتي، كأنك تبحثين عن ورقة ضائعة في ملامحي، وأنا وفكرة العبور نقف أمامك وأنت في صلاتك، ربما الجامع بيننا خصال كثيرة، بمقدار معلوم يوجد داخل كل واحد، فأنا الجموح أعتقل كياني!

كان الوقت يبتسم ويقول، حان وقت العودة، وأنا لم أرفض، أمسكت بيدك وعدنا حيث الصور الكثيرة الصامتة، أناملك وهي في قبضة يدي، تنفست، وأناملي كذلك، امتزجا، عناق مختلف ورائع، وكأنك تقولين ها هي رائحتي معك، ستكون رفيقتك، منبهتك إلى كيان هو لك.

وقفت وراء هذا الارتباك والصورة تعود لمكانها، وأنا كناسك يقف الآن ينتظر الهدوء.

●●●

٢٣

وقفت كثيرًا أمام الكلمات، كتبت، ومحوت، كلماتي تعاندني، فحالك أصابتنى بعطب، فالكتابة إليك اليوم كتابة مختلفة، كتابة لن أحملها بالكثير، فلا أريد لك أن تبذلي جهدًا من أجل القراءة، فأنا لن أكون اليوم إلا ذلك الناسك الذي جلس بجوارك وما زال، ستكون لي صلاتي والدعاء لك، تلك هي الأشياء التي أملكها اليوم، ولى رجاء قاومي وتماسكي وانظري للنقاط المضيئة في حياتك، إنها كفيلة بمحو ما استقر.

سكبت كل حروف الهجائية في حقيبتي، ثم غادرت، ونفسي تتعجب من نسق الكلمات، اعتلت أسطح البيوت، ونادت ترجمان يملك حق التصرف في المخطوط، يا سيدتي، ترفقي بى، أنا من كتب، وجمع، ونقح، ربما في زماني لا نشيد بجميل اللحن لأنه لا يحمل كل ما نرى، فعل التراكم أحيانا يصنع تاريخا، وأحيانا نترك الفراغات في الحكي حتى نحرك من تمر عيناه على السطور، الآن كلماتي المرهفة تركت مظلتها، وهرعت إلى جوارك، وأنت في شموخ الملكة تنظرين، وكما للخيال اتساع رقعته، تخيلتك في ثوب فضفاض وفى شعرك وردة تمنيت أن أهديها، لمسة .. هي كلمة جميلة.. شفيقة من عود طيب هي...

الآن ، أريد كلماتي لأرسم خارطتي، ثمة فكرة تدس في الأسطر معها، هل تكشف عن سحر النقاط، ولأني أعرف أن وقت الحديث مهما طال، فهو في مجمله مثل السحابة حينما يقتلها القلق على ماء تحمله، أين ومتى ترسله، تخشى من انفلاتها قبل أن ترى مكانها الجديد.

ففي اللحظة التي تقول فيها إننا لا نصدق بأننا هنا، بالقرب من نور نتمنى الإقامة بجواره، نحدق في أرواحنا، هناك في العمق سأجد أنا الوجه وظلال السعادة، هي لك، السعادة لك، دقي خيامك، ثبتيها جيدًا، وأطلقي عقال كلمتك، واصبري على جملتك عندما تتكون، فكل حرف يحمل شيئًا منك ، أضمه أنا برفق.

ما من كلمة كتبتها لك إلا وهي وليدة لحظتها ، تعلمت بوجودك كيف يكون الاستحضار موجدًا لحياة أخرى لا نلمسها إلا بذلك الصفاء، حياة الروح أنقى، فالأرواح تحلق في دنيا هي لها.

اليوم، أحسست أن شيئًا ينقصني، وأني أشتاق إليك، وفكرت فيك باستمرار وأنا في العمل، والآن أجلس وأكتب إليك، قلت لنفسي سأمشي وحدي قليلاً فأنا أريد مساحة معينة أخلو فيها مع نفسي، تركت العمل وسرت في طريق الحدائق، على الجانبين تحيطني الأشجار والسكون، وفي مشيتي وحدي أحسست باشتياقي إليك، فكرت في حبك وفي كلمات معينة

تقولينها، بعضها تذيبني. ولا أعرف كيف خرجت تلك الجملة: رأسها مثل غرفة ورد ، على الفور تخيلتها بمكوناتها، كل شيء فيها في مكانه، السكون، والستائر على الشرفات، ومليكتي في رداء شفاف على سريرها، ظهرها تسنده إلى حافة سريرها، حولها المكونات، وبعض ملابسها لم تضعها على المشجب، وثمة حذاء ملقى بالقرب منها، وكتاب نائم بجوارها، وحلم كبير ينتظرها، غرفة جمعت مكوناتها بعناية فقام التناغم بين المكونات، كل قطعة،لوحة، وكل لوحة قطعة، وكل لمسة وضعت أضافت وأكملت.

ظل التصور حتى عدت إلى البيت، وحينما كتبت ما سبق في دفتري، ابتسمت، وكانت الأيقونة أمامي، فأغمضت عيني، وسمعتك تقولين لي: قف هنا. فتحت عيني، وحينما عادت الكلمة عدت إلى الصورة التي كنت عليها، وتركت المجال لصوتك" نعم الستائر موجودة محكمة وجميلة بلوحاتها كما قلت ولكن عندما قلت غرفتي تشبه غرفة ورد، أصفها أنا بالعمق، فغرفتي مرتبة كعقلي الهادئ وتجد الكتاب أحيانا جواري، حيث أني أحضره وأتركه بجانبي لأقرأ صفحتين أو ثلاث ثم أتركه ، لونها سكري. هل تجسست على غرفتي ؟

وعدت لحقيقة بعادك.

قلت لي اطمئن سأعود ، كلمات لم تفلح في إبعاد الخوف فالخوف إن لم يزرني هذه الأوقات فأنا في ترف كيف لا أخاف عليك وأنت تتألمين وتمرين بهذا الظرف هل أنا منقطع عنك وكيانك بعيد عنى وليس هو سكني، صحيح الخوف لا يعرف قلب المغامر وأنا لا يجوز لي أن أغامر بوجودك داخلي، لا تتصورين كيف تمضي الأوقات بى، فقط لتعلمي بأني أتحرك كجسد أفعل كل شيء، بلا أي رغبة، أمارس حياتي وأجلس هنا على أمل، لكن الروح بعيدة عنى، متعبة، لا أعرف متى تعود إلىَّ، ولا أعرف شيئا عن الغد، الغد دائما مرتبط بك، أحاول جاهدا أن أبث الاطمئنان كما قلت لكن محال أن ترضخ النفس القلقة المرتجفة،ومحال أن أخضعها لإرادتى المسلوبة من قبل الخوف عليك، السكون وحده حال حياتي، سكون إرادة، أحجمت عن الكتابة في هذا الشأن لكن لا أعرف وجدتني أكتب إليك، وتكون تلك الكلمات، ويكون وصفى لحالتي، فقط لتعلمي أني هنا انتظر عودتك...دمت بخير.

●●●

٢٤

ما دام ما وجد بإرادة الله ثم بإرادة قلبي سأحرص على أن يكون الحب عنوان كل شيء وسأكون أنا في هذا البراح الذي فتح عليه قلبي، هناك كل شيء ظاهر لي، بلا حجب، فهذا البراح تسكنينه أنت ، وما دام الأمر كذلك، فاعلمي أن المحبة تجب كل شيء ، وتؤسس لنفسها يوم مولدها ، عالمها الخاص، تقول في أرضي حياة يا أولي الألباب، حياة مسندها القلوب ، لا أحد يجرؤ على اقتحامها، فعلى الباب كتبت الأسماء وبعدها جف المداد، وجعل الكلام حكرا للقلب ومداده صدقه، وريشته امتداد أثره ،كثيرون كتبوا عن الحب، وكثيرون الآن يسطرون وكثيرون سوف يأتون لاحقا، كل هذا لا يعنيني، الذي يهمني حقا أوراقي، لم يدون فيها شيء حتى الآن، بياضها يزداد رغم المداد الذي تتشربه من قلبي، أنا من يصر على وجود الكلمة عليها، فهل أنا مؤهل ما زلت لتلك المهمة المقدسة؟ انظري إلى ما شيدت من نبض قلبي وستعرفين كم أنا مصر على أن أكون حارسًا لتلك الصلة، كثيرا ما أقف أمام ما وجد فيها وأقول لنفسي المسكونة بك: هي لأنها سوف تعانق عينيك فهي دنيا منك، الآن تستمد الحياة، كتابة تليق بمن ملكت وبمن عتقت

وبمن فتحت تلك الشرفات على هذا البراح المتسع ، الذي لم أظن أنني ذات يوم سوف أملكه، لكن في وقت ما حينما يقف المطر نحتاج للصلاة وصلاتك حرفك، كلماتك، قطع الروح منك فلا تقطعيها ، عندما تغيب روحك أشعر بأن مداد قلبي يعصينى ،القليل منك فيض يكفيني، فالظمآن يظل سائرًا من أجل جرعة ماء، يوم أن يجدها، أو تصل إليه ،توهب له الحياة

وهل هناك ما يعوضني عنك وعن همسك الصباحي، أتحدث أنا كثيرًا، ليس طقسًا بل هو حديث رجل مهاجر إليك، لن أستطيع أن أمنعه من إرسال قطع روحه، تهتز دنياه لو جلس من غير أثره، ما جدوى كلماته إذا لم تعانق عينيك، أنا أتعلق بالحرف منك، كثيرًا ما خاصمتني اللغة فأهجر كل شيء وأتعلق بطيفك، لائذًا بك منها، أطيل الجلوس وطيفك مؤنسي، وقتا يكون لك، أكون خارج الأزمان، زمني داخلي، أناجيك صامتا، صلاتي لك، ولأني ناسك وسنا نورك وجهتي، تفك عقدة الكلام، وأعود لملاحقة الحرف، هأنذا اليوم أفتتحه بالكتابة إليك، طال شوقي، ثرت أمس، ثورة من انقطعت به السبل، ومن طال شوقه إليك، فوقف محتجًا، معذرة حبيبتي إنه نداء من عصفت به شجونه، حوم حولي ورأيته عملاقا نصف يوم وهو يخايلني، استعاد أشياء وأشياء، ثم عاد إلىَّ في كامل هيئته،

فكنت أنا بما حويت من نضال الأيام الماضية، دخلت دائرته، أكان يمكنني أن أعانده، أن أقول الأيام ممتدة، أقول لا لم يكن في طاقتي، ما كان لي أن أستغنى عنه ولا عن وجوده، فاللحظة كانت قمة ما وصلت إليه من شجن، إن أقسى وقت للإنسان هو الذي يسرف فيه الشجن فيملكنا، وقتها لا قدرة لنا به.

أنا رغم كل شيء أهاجر إليك، بقلب رجل، حاجاته متواضعة، أخاف عليه حينما يجنح، ويكون نهما ، أخاف عليه وارده لمستقره، أخاف أن يخطئ فيورثني الشقاء أو يخطئ فيخذل، وينهار كل شيء، ومنذ جلست تحت شجرتك، وهو تعلم كيف تكون قناعته قانونه، استعجبت يوم اكتشفت أنه رضي، هل هذا جسدي، وهل هذا سكن الروح، دهشتي لم تطل، تابعته فوجدته في ملحمة من السعادة هو حينما يتلقى كلمة واحدة، أصبحت بحق مرجعيته للحياة، للوجود، بوصلته التي يتبع مؤشرها، هو بات يؤمن أن الحب هو المرفأ الممتلئ بالسكينة والأمان، وقادر على خلق حال من السكينة التي تدفع إلى إعلاء قيمة وجودة، صفة ينفرد بها كل من تعلقت عيناه بسنا عشق الجلوس بجواره، لا يغادره أبدا، فهو بحكم الحياة أصبح مرشده، لو انقطع عنه ضل ..

●●●

٢٥

أقول لنفسي لولا الصبر علي أمور كثيرة في حياتنا لما استطاع الجسد أن يظل موجودا ويمشي فوق الأرض، أملا في الوصول لسيل الأرض، وفي رحلتى تلك تعلمت إن داخل كل واحد منا غرفة نغلق بابها لكن شباكها يظل مفتوحا، يفرض بقوة نفسه علينا، نعود إليها كلما تعبنا أو فشلنا أو صدمنا، أو أحبطنا، لا أحد يفهم مدى ارتباطنا بكل قطعة فيها ولا مدى متعة الجلوس على أرضها والضحك والبكاء في كل ركن من أركانها، وهناك تكون المقومات التي تعين على مواصلة الحياة، وأنا جعلتها بناية، غرفة تحولت إلى بناية للذاكرة، أبلغتها عنك كل شيء، وكل نبض داخلي جعلتها تسمعه، فحولته لصور أراها وأكلمها، وداخلها كنت ناسكا وما زلت تحت شجرتك، ارتبطت بالجمال أينما يكون، ففي هذه الحياة كل شيء يتبخر مع الزمن إلا الجمال الذي يسكن الروح، التي تقيم وتقوي جدار المحبة، جدار لا يباع ولا تشترى، فقط عملته الوحيدة الصدق والإخلاص، وهناك وسط هذه القطع الغالية عليّ، أقضي أفضل أوقاتي، ما أروعها من لحظات وأنا أكتب إليك، هذه اللحظات التي أهرب فيها من كل شيء، وأنزوي فى بنايتي تلك، ناسيا

هـذا العالـم الأنانـي متوجهـا إليـك بـكل مـا في قلبـي نحـو تلـك المسـاحة التـي جمعتنـا التـي هـي النـور، والهـواء والخصـب، والغـد بـكل مـا يحملـه مـن أمـل وانتظـار رضيـت بـه، ودائمـا قبـل الكتابـة يكـون السـؤال: مـاذا كنـت سـأكون لـولا وجـودك؟ دائمـا أتـرك السؤال، وأبحـر مـع قبس مـن هـذا الوجـود، فأغـزل لـك مـن لحـن حبـك، مجمـل كلماتـي، فأنـت السـعادة التـي أشـرقت في حياتـي، و نافخـة روح الإشـراق في روح اسـتردت مـا كان يجـب أن يكـون لهـا، وأنـت المـلاك الـذي يصلـي في محـراب الطهـر رافعـا كفيـه لتباركنـي الحيـاة وتهبنـي أفضـل مـا لديهـا مـن سـعادة، الآن أكتـب إليـك لأقـول لـك ربمـا لـم أفهـم صمتـك، ربمـا لـم أصـل لحقيقـة مـا تريديـن، ربمـا لـم أفهـم الرسـالة، لكـن مهمـا كان مـا دار في رأسـي، وحدثنـي بـه عقلـي، وأنكـره قلبـي سـأحترم صمتـك مـن الآن، فمـن دخـل تلـك الدائـرة، يجـب علـى كل مـن يحيـط بـه أن يحترمهـا، أقـول هـذا وهـو صعـب علـيّ أن ألتـزم الصمـت ولا أكتـب إليـك، لكننـي سـأواصل تدوينـي، أظنهـا هـي رغبتـك، فالصمـت أحيانـا يكـون رسـالة بليغـة نفهمهـا بعـد وقـت.. ربمـا باسـتمراري سـببت لـك الكثيـر مـن الضجـر بسـبب رسـائلي، منسـاقا خلـف قلـب ملـك أمـري، ولـم أنتبـه لحقيقـة مـا أنـت فيـه، فعـذرا حبيبتـي إن كنـت تسـببت في هـذا.

●●●

٢٦

قبيل الغروب والشمس تستعد لترحل، والنهار يسلم نهاية وجوده لمساء يدخل علينا، نفسي تخبرني بأن هذا التسليم في وجوده ودوامه، يشبه تسليم روحي لروحك، هما بجوار بعضهما ـ هكذا أشبه أنا سكن روحي ـ كأغصان شجرتي ورد تتشابك أغصانهما، لا شك أن هذا التلاحم والتعانق هو ما جعلني أبدو في الأيام القليلة الماضية، كطفل فقد يد أمه في الزحام، كان لا بد أن أعود إلى دوحة ضمتني بين شجيراتها، حيث النسيم الذي يعيد لنفسي الهدوء، وهذا هو ما كنت أفتقده، عند مروري هنا والبقاء في نفس مكان سوف تقع عينك عليه، يمنح نفسي كل الهدوء، ويعيد السكينة والأمان إليّ، كلمة واحدة أتركها ستكون قابلة لأن تعانقها عيناك، تجري على حروفها، كان يكفيني ويجعلني مطمئنا إلى استمرار وجودي لديك، عليَّ أن أرعى هذا الوجود، فالوقت ما زال سخيا معي، يمنحني الدفء، هنا حيث أجلس إلى جهازي، لا يمنع العين أي عارض، كون الوقت الذي نكونه في حضرة ذلك الوجود، مغزيا لتوهج ما وجد وكان ونافخا في روح ذلك الامتزاج ليقوى، ويشتد عوده، ويقف أمام كل العواصف التي قد تهب من وقت لآخر، فكم من

خواطر تأتي وتمضي لأننا لا نسارع إلى تدوينها، نحزن كلما مرت على الخاطر أطياف منها، ولا نعرف كيف كانت، وهذا لا أريده لوجود استمد حياته من معنى تلك الحياة التي توهب لنا مرة واحدة، ونحن من يشارك في توجيه قاربها، فأنت كما أنت، امرأة ، سيدة نساء العالم، في أعماق عينيك، رقد خيالي واقعا ملموسا، فكنت في حضرة الوضوح والسعادة، لم يكن سهلا عليّ أن أكون في العمق ولا أصبح ناسكا يرسل كلماته، كصك وجود، أقل ما يقدم ، هي الكلمة التي لا تعرف الحجب، ولا الحواجز، كلمتي أنت ، فهي غالية على نفسي ، دمت في سعادة.

●●●

٢٧

أحببت كل شيء معك، ما كنت هكذا، أصبحت أجيد الإنصات جيدًا، وأصبحت أضع خطوتي في مكانها الصحيح، وإذا ما وجدت في مكان أكون خفيفا، كل هذا ما كان لي، الهدوء كصفة تأكدت مع حبك ثمة تغيير أصابني، إني أشعر الآن بنفسي، أكاد أجزم أن ما أنا فيه هو مولدي الثاني بحق، ثمة إنسان ولد على يديك، فبعد أن ندخل قطع الفخار والخزف في النار، تصبح ناضجة وأكثر صلابة، وتغدو رائعة الجمال، وخفيفة في وزنها، صفات جديدة أكسبتها النار للقطع، وتصبح تلك القطع تحت الضوء متألقة، كذلك أنا وحبك، وحدها أجسادنا يصيبها سحر الحب فتملك جميع مفاتيح خزائنها، تسترد ما وجد لها، ووقت أن نتفرس في عيون المحيطين بنا سنعرف الفرق، وسنعرف معهم كم أدمنا فن الهمس، وإذا ما غفونا حتما سنكون في فضاء منح لنا، هنا سنكون كما نريد أن نصبح، نشكل الدقائق والوقت بصفاتنا نمنحه بعضا من ألقه، ورغم هذا، بقى أن أخبرك أن عقلي في أوقات كثيرة لا ينعم بالهدوء، وقد أصبحت حالاً مألوفة لدى، أنا غير ضجر منها و من حال عقلي، فهو في صلاة دائمة من أجلك، من أجل وجودك، فكيف له أن يغفو وهو تشغله حياتك، وأمر آخر فهو من مهامه أن يمجد اسمك، يجعله إيقونة لا تغيب عن جدران بيت الذاكرة

الذي شيدته لك، منذ أن عادت وشيجتي تقودني لتخوم مملكتك أنا كل شيء فيها: الرعية، الجنود، أنا كل شيء وهناك بين جدران قصرك تقودني البسمات، والكلمات، والحكايات كل هذا ينمو تحت سنا نورك فيقوى العناق ويشتد عزف اللحن، والعصافير تعود لوكرها فأمتطي صهوة الأمل، لك كل شيء، فكوني مطر خير هذا الصباح وترفقي بقلبي فإنه على سفر هذا الصباح لك.

الآن أستحضرك واقفة أمامي، أحضنك بتلك النظرة التي أراها في صورك، أبتسم لك فتدعوني للرقص بلا خجل أقترب منك و ألف يديّ حول عنقك، أقرأ حديث عينيك فأغمض عينيّ ببعض خجل، تبتسم شفتاك، و تتورد خدودك بلون الشمس المشرقة و أتمتم عند أذنك " أحبك "سأقول لك جملة لا تقبل أى نقاش: يومي من غير سنا وجودك لا يحسب من أيامي، أسقطه، فلا تسأليني عنه، ولا تسألي عن ساعات تلونت بالشوق إليك، ولا تسألي عن لهفة بددت انتظام ما كنت عشقته، أقول هذا رغم معرفتي بأن الشوق لا يبدد الحب بل يزيده ،فالعشق وصل، ووصل غيابك حضور، لذلك أطلب التلاشي لأولد من جديد في كل مرة أكتسب شيئا جديدا، فأنت قريبة منى كما الروح التي تحلق حولك، كل ساعة من يومي تمضي تحمل قصة لك أكتبها وتكتبها معي الأشواق.

●●●

٢٨

أنت من أمسك بوتر لا يجيد العزف عليه إلا أنت، اللحن حينما يكون متجانسا يصبح وقعه على الأذن قويًا، وقادرًا على خلق مجال رحب، عبره يتردد، وكلما راح يوغل أصبح أكثر رسوخا وأصبحت النفس معه في عالم خلق خصيصا له، مع اللحن والمجال يوجد ما نطلق عليه الوسيط الذي بموجب اتفاق ضمني بينه وبين قلوبنا يكون همزة الوصل، تلك الخيوط التي عبرها نتفاعل مع حال وجدت ، تستطيع أن ترتفع بنا لمصاف الأنبياء هؤلاء البشر الذين صفت أرواحهم.

وقتها ونحن في حلبة الوجود الخاصة بنا، وبعد أن وجدت الأدوات، وهمزة الوصل، توجد المتعة، تلك الكلمة المراوغة والدالة في آن واحد، متعتنا حسية الآن هي القادرة على تثبيت الحال في نطاق أوسع وأرحب، نطاق تحفه كل الأمنيات التي تنبت في وقت هو لنا، هناك حيث كل شيء مدموغ بالممكن، نرقص رقصة تخصنا، فاللحن يصبح مناسبا لأجسادنا، والوسيط وهمزة الوصل صالحة للاستعمال، والمتعة مستعدة لأن تمنحنا أجمل ما لديها، نوجد في دائرة تسقط عليها الضوء، أنا وأنت ومن حولنا تصدح موسيقا فريدة لجسدينا وجدت، لكي تمتزج

لـن تفرقـه سـكتة أو لحظـة صمـت تسـترد فيهـا الآلـة الموسـيقية نغمتهـا، هـو وقـت لنـا، مقتطـع حتـى نعيـد التـوازن لأجسـادنا، نجعلها مشـحونة ومسـتعدة لأن تكمـل رقصتهـا حتـى النهايـة، وهـى فـى كامـل يقظتهـا حتـى لا تفوتهـا أى جملـة موسـيقية، وعلـى مقعـد في دائـرة الرقـص تتهـاوى الأجسـاد وقـد جللهـا قـوس قـزح ذلـك الـذي يحـوي كل ألـوان البهجـة، يحيـل السـكون إلـى موجـات مـن عنـاق، لا يقـام فعليًـا، بـل هـو مـن رجـع النغـم الـذي مـا زال باقيًـا يناغـي القلـوب، ويسـري عبـر أوصالنـا، مفرداتـه، كلهـا مـن الصمـت قـدت. مـا أحلـى العيـون حينمـا تسـافر عبـر لوحـة شـدتها فلـم تتـرك لهـا فرصـة للهـروب أو الابتعـاد، ويـا ويلهـا مـن موسـيقا مـا زالـت تتـردد في أوصالهمـا، تتلاقـى الألـوان المبهجـة، مـع الصـوت الرخيـم النـدي، فـلا طاقـة لبشـر حتـى يصـد، ويقيـم الحصـون، كل شـيء سـوف يصـرخ مستسـلمًا فمـن الـذي يقـف أمـام سـيل النغـم القـادم مـن قلـب لقلـب؟ وقتهـا تكـون جملـة الختـام، لا هـي في قـوة البدايـة، ولا هـي مسـتكينة هادئـة كوسـط النغـم، ولا هـي راقصـة مـن سـلم لسـلم، بـل هـي مـن فيـض مـا اسـتقر تكـون، وكيفمـا كانـت الوجهـة تسـري، ومـا دام الجسـدان في دائـرة الرقـص، وهمـا في شـغف لأن يكتمـل اللحـن، وتكـون جملتـه مـا مضـى مـن اللحـن نفسـه، يختـاران العنـاق، رقصـة، متوحـدة مـع الـذات الواحـدة، يـا لهـا مـن جملـة ختاميـة، علـى وقـع هـذا الحـدث.

٢٩

سـألت الليـل الـذي تركتـه خلفـي، أيـن أدون فرحتـي التـي صنعت مفرداتها، أين أنثر عطرك وهمسك الذي وصلني ومتى أعيد طقوس ما تم؟ وأين أخبئ نظراتك حين تثور نفسي وأعلن أنى احترقت؟ فأنا لم أحتكر كل شيء ولا كنت قاسيا، كنا معا عازفين دخلا وحدهما بلا جمهور إلا من روحين متلهفتين تلهثان خلف نغم لحن نصيغه معا، كانت نغمتك تأخذني فأغيب، وعطرك يستردني من سكرتي ، وبشوق تسكبين في أذنى الكلمات، كنت قادرة على كسر جدار ارتفع، وسط سنوات تلاحقت بلا خوف وبشكل معجز، سافرت الرعشة كثيرًا وسط أوردتي، صدقيني هي ارتعاشات الولادة، فلو أحصيت عددها ما كفاني العد، من دونها تظل أجسادنا تدور في أنصاف حياة، ما كنت أعلم أنها حياة عدم، أرهقت جسدي بسجن نغمته، وتراكم في عروقي الجليد، تعرفين لحظة أن امتدت يداي واستراح وجهك بين راحتي، كانت رعشتي الأولى بدء ما كان، وكانت بدء ثورةعروقي، وذوبان جليدها، تريثت وبقيت مستقرًا على الوجه، أي المكونات أمنح جل وقت استقراري عليه، آه من الشفتين وانفراجهما، ومن الوجنتين، اكتويت بلهفتهما، تسكنان

خلف نظارتك، ومددت يدي ونزعتها فوجدت ياقوتتين مثبتتين، كلماتهما أثارتا حريقي أكثر فارتعش جسدي، واقتربت كانت اليد حانية وهى تستريح عليَّ والعيون تقترب، ولهفة تولد على الشفتين، حارقة تلك المفردة، وقادرة وقت امتزاج الأنفاس، ومن حيرتي أيهما تكون ابتداء النغمة، احترت كثيرا وفى النهاية تركت كل شيء لإحساس يقودني أينما أريد، فكنتُ وكنتِ وكان معنا فيض من سعادة.

●●●

٣٠

مهما كان اليوم مشحونا ، فانا دائما أستجيب لصوتك الذي يسكنني، تهبطين عليَّ وتعيدين لي فرحتي التي يبددها أى عارض يوجد، في زمن أصبحت فيه الابتسامة العابرة نادرة، فما بالك بموجة الفرح التي تشملني بقربك، أما كلامك الذي تلقيته كعادتي بلهفة وشغف، فقد سكنتني كل كلمة، وما زلت حتى الآن تعيدينه بنبرة صوتك الذي أحاول جاهدا أن يكون متخيلا وواضحا لي، وكنت قد استقبلته بعد أن أوغل الليل، بعدها انقطع النوم تماما، أصبح رأسي حقلا لم ينبت فيه إلا زهرك، قطع الروح، رسائلك ، والتعب لم يصرعني، إلا حينما تشبعت بك، فنمت، وكنت أعرف أن طيفك سيزورني، وكنت ألمح تحفز الصور وتحفز الكلمات، تزاحم كل هذا وأنا أستسلم نهائيا للنوم، وكنت دائما أظن أن النوم العميق من جراء التعب يكون أقوى، حقيقة توارت تلك الليلة، فنومي كان لاحقا لسعادة غمرتني ودارت الكلمات في رأسي، وأنا مع قطع روحك أدور، تكاثفت الحروف، فصنعت جدارا ، عليه رأيتك، في غرفتك التي تغلقين بابها على نفسك، والتي تشهد وجودك، كل شيء كان كما هو، الموسيقا الهادئة وكلمات الأغنية الفرنسية الشهيرة:

إذا لم تكوني موجودة

قولي لي لماذا أنا موجود

حتَى أبقى في عالم بدونك

دون أمل و دون حسرة

وإذا لم تكوني موجودة كنت حاولت اختلاق الحبَ

مثلما يرى الرَسَام من تحت أصابعه ولادة ألوان النَهار.

الأغنية التي تحبينها، علاقة التزامن مع وجودك هي التي أوجدتها، وأنك أنت التي تضيفين ألقا على الأشياء حولك وأنت حاضرة بكليتك، وأنت ممددة على الفوتيل بردائك الأسود المنسدل على جسدك، ونسمة خفيفة قادمة من شرفتك المفتوحة، ثمة حفيف خفيف يولد، نتاج تزاوج النسمة مع خصلات شعرك الذي انفلت في فوضوية لذيذة ومغرية للعين.

وأنا كنت طائرًا وقف على الشرفة، مجرد بصيص من النور، خاض في أرجاء الغرفة وشاهد حضورك، ورأى دفترك المفتوح الذي كان قد وقف عند آخر كلمة كانت اسمك، الطائر خاض في المساحة الفاصلة بينه وبين الاسم، وشاهد ورأى الكلمات، شاف اسمي، ومكان وجوده في قلبك، وحينما مد

عينيه لأعلى لمح السؤال المنسوخ كثيرًا، تنهد الطائر، فارتجفت أوصالك، وظهر ما يشبه الحيرة على وجهك المغسول بضوء الغرفة الشفيف، تحرك الطائر قليلا للخلف، ووقف عند خوان ملابسك وصلته رائحتك، فاهتز جسده الرهيف، رعشة خفيفة شملته، وأنصت معك للصوت الرخيم:

وإذا لم تكوني موجودة

لن أكون سوى نقطة إضافيَة

في هذا العالم الذي يأتي ويذهب

كنت سأشعر بنفسي ضائعا

و لكنت شعرت بالحاجة إليك.

وحينما تلبسته الكلمات، لمحت ترنحه، فقمت إليه، وقبل أن تصلي إليه كان قد تلاشي، فالروح نور إذا ما استبد بها الشوق ذابت، مادتها من نفس مادة النور هي. والموسيقا سيدة المكان، عدت لنفس جلستك، والطائر الذي بدده عبقك يشغل حيزا من تفكيرك، ونظرت إلى الكلمات التي دونتها، فوجدت السطر قد ضم إليه اسمك واسمي، وكان النداء منك، عد حبيبي فمكانك في القلب، التفت يمينا ويسارا، تبحثين عن عودة الطائر، وكان الصوت الرخيم قد عاد يردد: سرَ الحياة،

لماذا للنَظر و التَطلَع إليك و إذا لم تكوني موجودة قولي لي لماذا وجودي في الحياة أمسكت بدفترك ورحتِ تكملين، وقتها قمتُ من نومي، صحوت وكلي سعادة، ولا تزال نبرة صوتك، وكلمات الأغنية يسكنان داخلي.

●●●

٣١

أي وقت هو ذاك الذي يجعلني أظن أن الحياة قد تمضي بنا ونحن نمضي لوحدنا، هو وقت جاء خارج سياقه، وما أغرب أن تكون تلك اللحظات من بين اللحظات التي تؤرخ لحياة وجدت ومعها ما يسيرها، نخصها بشيء من التوقير، ونجعلها في خلوتنا مصباح دليل، يوجهنا، لا فرق بينها وبين لحظات ولد فيها الإنسان، سواء كان مولده الحقيقي، أو مولده المعنوي الذي أعاد له ما كان، فقد يتفق القلب مع الداخل، ويصبح وقتها هائما في لجة من عذابات لا تفارقه، كلما حاول أن ينسل منها، ويبتعد يجد نفسه مدفونا فيها، حتي رقبته، سابحة حوله الذكريات القليلة، والحياة التي كان فيها، والتي يوشك أن يفقدها، حياة خليط من الرقة والشفافية، يوقن أنه هو الملاح التائه نفسه الذي يعرف المرفأ الذي يحب أن يرسو عليه، بينه وبين نفسه يردد مفردات ما كان ليكون لولاها.

وهو بين هذه النهاية، يصافح وجهه عطر وجودك، فيصرخ.. إن الوجود الصادق هو الانتصار، هو الذي لا يريد شيئا، فقط يطلب الحياة ، يعرفك قبل ولادتك، أنت توأم روحها، فلم أنت هكذا؟!! رزقك بين يديك، لن تزعزعه الفصول، لا تطلب القرب،

فأنت قريب منها، كن لها النسيم الذي يزيل أوجاع الأيام، ترفق بها، تكن لك السماء التي تحميك.

وله في تلك الأيام يوم يحبه، ينصت إليه وهو يحدثه:يوم أن أرسلت أول كلماتك، هو يوم السعادة والألم، يوم بداية الحياة الثانية، دائما تعيشه وتحس به، يبقى ممثلا للإحساس، كل هذا أعرفه، ورغم ذلك سأظل في انتظاره، سألقاه في المرات القادمة، أعرف أنه سوف يستقبلني، سيقول لي: أصبحت بعدى مختلفًا، ستعرف كيف تستيقظ على واقعك الذي تحبه، ولأنك عشت قبلي أياما وصفتها بالحزينة، تمسكت بي، رحت تناضل من أجل حياتك، من أجل وجودك، من أجلك ومن أجلها، سأكون أنا الذكرى التى حلت، أنا منذ دخولي حياتك، بي سحر غريب، لست كأي يوم، أنا بحق ذاكرة روحك، أو بداية لتلك الذاكرة، وما زلت.

أنا أصدقه، فهو عندى المفضل، أتاح لي قراءة الوجه، لو قال، ولو تكلم، فالذاكرة عندى ليست كأي ذاكرة، فعندما تبوح الروح بكل تفاصيل وجودك، تكون في أوج سعادتها، وأوقات ـ وتلك لا أريد عودتها ـ في أوج حزنها، بكل تفاصيل تلك السعادة أكون قد وصلت لقمة إحساسي بك، بعدها تشرق روحي، فترسل أثرها على كل من يجاورني، وحينما تلتقي مع روحك، فهي تقص عليها كيف كنت وكيف مضى اليوم، وكيف كان إحساسي

وشعورى، إحساسي: عمرى الذي وجد معك، كبر حتي ملكني، أتدرين ما معني أن يملكني، ببساطة هو يسلمني لك، لأصبح رهن وجودك، فتصبحين كالشمس مصدر دفء لي، نار ونور، أليس هما معا يذيبان ذلك الإحساس، أو ليس هذا هو فرط اشتياق الشعور، اشتياق الرحلة للداخل، حيث مكانك، هناك يتحول كل شيء إلي ربيع دائم.

●●●

٣٢

عبرت مدار وجودي منذ قليل، فأدخلتني مدن الحب الملونة، وقفت هناك بروح متعطشة مغسولة بنور نهار جديد، لرشفة من قطع الروح، رأيت فيك قوة خارقة كالوحي تهاجمني تفتح أمامي الدنيا فتكشف لي عن أسرارها ، هرعت إلى كلماتك لعلها تطفئ عطشي فالمشاعر الإنسانية في طبيعتها رقيقة وحساسة، وتحتاج لمن يرعاها ، تذكرت هذا الطريق، وسوف أعود للكلمات، أكمل وجبتي الصباحية من فيض كلماتك.

أنت يا من منحتِ الوقت قيمته.. فأنت كما الأم منحتِ حياتي كل شيء.. ثم قلت لي حلق.. فالكون لك.. وحينما سافرت.. قلت لي.. لتفتح عينيك على كنزك.. ضعني في قلبك.. وبعدها غرد كما تشاء.. عالمك سيكون جميلا.. ومن قبسي سوف تكون تميمتك.. ستحميك.. وكن على ثقة بإنه كلما كان سفرك الدائم قائمً على سفر الروح.. فأنت ستكون في الخانة التي فضلتك.. وقتها ستكون كل المدن.. وكل الاماكن التي حللت فيها.. ستناديك.. هناك ستجدني وستجد رائحتي.. أنت تعرفها.. عانقني بهدوء.. نعم.. عانقني بهدوء.

حبال الوصل دائما موجودة.. قلت عنها كثيرًا.. لكن مع الوصل ننسى الاهتمام مفردة قد تغيب أحيانا.. فالاهتمام ملح الوصل هو من يجعل الذوبان كاملاً.. به نكون ونستقر.. وقتها لن نتجاوز قرب الأرواح.. كثيرًا ما أكون وتكونين معي حيث أكون.. أقول في بعض تلك الأوقات.. ينقصني شيء.. يشتد هذا السؤال حينما أمسك بالقلم لأكتب.. أظل وقتًا طويلاً أنتظر شيئًا يأتي ، الكلمات لم تعد تطاوعني.. الكلمات لم تعد تأتي.. أدري وقتها أني سأكون في حاجة للشعاع الذي ينير.. ليضئ كل ما بداخلي وحولي..

تساءلت فأنا المسافر طول الوقت.. المغادر لكل ما أنا فيه إلي ما أصبحت فيه.. أزاوج بين ما كان وما وجد.. لتكون أنا في لحظتي.. أتدرين كم اشتقت لكلماتك.. كلمات تاتي ..فقط كلمات.. أما زالت الكلمات تخاصمك؟ كل هذا لم يمنع النور من عيني.. مثلك يا قرة العين.. تجعلين زهور الحياة وصال لا انفصال ..حبال الوصل دائما موحودة ..وتلك الكلمة توجدها.. بحبك.

●●●

٣٣

الاشتياق صخرة تتحكم عليها كلمات كثيرة، فمن يقدر على الوقوف في وجه التيار؟ أشتهي ولو مرة واحدة تصيبك موجة حنين قوية وتخبريني أنك اشتقت لي.

أنا بك ومعك أصبحت مدينة كاملة تضج بسكانها، كلما اشتقت إليك، تذكرت محمود درويش حينما قال: أنا لست لي.تلك المقولة تلخص كل ما أنا فيه، وما وجدت عليه، وما سوف أكونه، الحنين والشوق يسكنان كل جوارحنا، نوع من التسبيح الخافت، نوع من الإشارات الدالة، وحينما يصل إلى الشفاه فهو علي بداية طريق آخر وصلة أخرى، فكل محب يشتاق لمن تكتمل به روحه، دافع الرغبة العاطفة التي سمقت، وأصبحت كل شيء، وهو يكون حيث تكون تلك الروح، يقول لها اشتقت إليك، فلا حرف من دونك، ولا كلمة تعادل تلك التي تعانقينها أنت بعينيك، فالاشتياق له مفرداته، وجدت لتظل باقية، وليظل هو موجودا، بلا حدود ، دائما حينما يكون فهو يوجد لتوجدين..فأنت أنا وأنا أنت، لا حقيقة كاملة في حياتي إلا أنت، لا تلومي العين إذا ما كتبت أني مشتاق، فلا حكم على قلب استبد به الحنين والشوق لمن ملك حياتي، لا تلومي على

مـن تعلـق بالسـنا إذا مـا صـرح بأمنيتـه، تفهمـي كيـف يكـون حالـه والشـوق يحـرث داخلـه شـوقا إليـك، لا تلومـي مـن رضـي بـكل مـا وجـد، وقـال يكفينـي حبـك، ووجـودك ، يكفينـي تلـك الـروح التـي تحلـق في عالـم هـو لـك، عالـم مـن بلـور عالـم مـن رائحـة الجنـة هـو، ففـي القلـب مـدن سـطرت علـى أبوابهـا أنـى أنـا الزائـر لهـا، لا أملـك شـيئًا فيهـا، تسـكن هنـاك مـن ملكـت ومـن دنـا وميضهـا منـي فمسـني فكنـت علـى صورتـي التـي أحببتهـا وندمـت لأنـي لـم أكـن فيهـا منـذ زمـن، لـن أقـول بأننـي همـد العـزم منـي، بـل زاد وقـوي، فالحـب قوتـه في ذاتـه، قوتـه تمنـح القـوة لنكـون، وأنـا قـوي بـك وبـه.

●●●

٣٤

ما كل هذا الحضور، فناء في جسد ، فناء في روح، رحيل في دروب لا نهاية لها وأنا كل هؤلاء، والغياب ما قدر على هدم صرح بنيته، فأنا عتقتني الأيام وأصبحت محصنًا بالعشق، وبتميمة كل من سار قبلي في نفس الطريق، وهناك الشيء الأهم موسيقاك دائمة التردد داخلي، تعيدني من الشتات لأكون حيث أنت، لست بعيدة، ولا نغمتك أيضا، فأنت بحر نغم وأنا ساكن على متنه، صدقيني هناك يكون الذوبان والتلاشي غاية ما أتمنى، والمزج أيضا، مزج كل شيء كلي بكلك، الكيان بما حوى، والتلاشي أبدا ما طرح السؤال: لماذا أنا هكذا؟ لسبب بسيط وهو لو غادر بحر نغمك ...مات...نعم تلك حقيقة من اقترب فعرف فقر عينا...إني أحبك

هل الإنسان قادر بطبيعته التي وجد عليها أن يدرك أن التعلق بالحياة لا يأتي إلا عبر امتداد خيوط تلك الوجوه التي شكلت حياته، هى همزات وصل تملك تلك القدرة فتقوى من عزيمته.. وتجعله طامعًا في قدرة الله عز وجل الذي خلق تلك الروح المتعلقة بأستاره من أجل حياة أخرى توهب له بضراعة من يرجو بلوغ آمل الوجود أمل أن يكون حتى يعيش تلك الحياة الاستثناء.

الإنسان قادر.. قدرة روح حلقت في نهاية يوم.. وهى تصارع من أجل البقاء.. من أجل عمر يجب أن يضاف من خلال قول يا الله.. . و سط تلك الساعات التي كنت فيها بين حياة وموت..بين بين هي..كان طيفك، ما كان لم يكن لولا النهاية التي كانت قريبة جدا.. .بين وعي غائب حاضر.. عبر عيون مفتوحة وقريبة مني.. عين البصيرة كانت رفيقة تلك الساعات.. بينما بصري قد أغلق أبواب عينين كانتا مع أطياف حضرت وبقوة لتقول لي: تعلق بما كنت تقول، اطلب الحياة.. بل ما فوق الحياة بقليل.. اطلبها من أجل تلك الوجوه التي تتراءى لك.. اطلبها توهب لك

قيمة الحياة.. لا نبلغ معناها إلا بقربنا من تلك اللحظات وكذلك قدر من سكنوا تلك الحياة.. من جعلوا لها قيمة ومعنى.. هم من يقوون صلتنا بها.. صلة تقول لنا من أجلها قاوم من أجلها اطلب الحياة توهب لك.. وحينما نعود.. ندرك جوهرها.. إدراك العائد من موت كان قاب قوسين منه أو أدنى.. الوجود يتسع بمن اقترب منا واقتربنا منه.. بمن صاغ الأيام بحضوره ..فكانت حياة استثناء..

الآن ومنذ تلك اللحظات.. أقول.. الحمد لله.

●●●

٣٥

النهـار دال عليـك، أريـد أن أخلـق فيـه سـاعات لهـا نكهـة ابتسـامتك، وأغتصـب مـن الوقـت سـاعة لأركـن إلـى ظـل تحتـه أقيـم جلسـة هـي لـك، أناجـى طيفـك، وفـى لحظـة الوجـد سـوف تحجبـين كل شـيء، وسـوف أجعـل السـحاب العابـر يتجمـع أريـد أن يكـون منهمـرًا ليسـقط علـى مـكان خطواتـك أينمـا كنـت، لتنبـت مـكان حـط كل قـدم زهـرة.

النهـار بقـدر حبنـا لـه، يمنحنـا قـدرًا مـن الوضـوح، علـى هديـه نمضـى، ونختـرق الشـوارع، ونصنـع مفـردات سـعادتنا، يـاه مـن صفـاء نفسـك، هـل أنـت تشـبهين نسـاء قريتـي السـاكنة؟، لا وجـه للمقارنـة أعـرف، فأنـا في مكانـي أشـعر أحيانـا ـ كالآن ـ بـأن الوحشـة تأخذنـي بحيـث يصبـح المكان ضيقًـا ومحتقنًا بعيـون كثيرة تترصدنـى، العيـون لا تتركنـي حتـى إنـى أشـعر بالاختنـاق، ثـم فجـأة يفـرغ المـكان ويتسـع، وأملـك مـن جديـد قدرتـي علـى الصـراخ وعلـى السـكوت، وقتهـا أكـون في منتصـف النهـار الـدال عليـك، وأكـون في قمـة سـعادتي وأنـا أذوب مـن نظرتـي في وجهـك، أكـون نقطـة علـى مـدارك ، لا أفارقـه، ولأن الخيـال خلفيـة سـليمة، تغـذى الوجـود أكـون أنـا هـو ذلـك الرجـل الـذي مـارس فعـل المناجـاة، وعـرف

كيف يستحضرك، وعرف كيف ينصت لك، ويكون إنصاته تبتل عابد، ياه كم أنا مشتاق لسنا نورك الذي يشرق، حتى أكون مستغنيًا عن كل أغبياء الدنيا الذين يقولون إن الحب وهم، ومن يتعاطاه ضال ومضل، بل وصانع بدعة. ولنبدأ رحلتنا، كيفما تريدين أكون، وقع الخطوات أضبطها، ليتوافق مع خطو الملكة، والنظرات والهامة المرفوعة في غير تكلف، لا سؤال يخرج، فأنا سأترك لك القيادة، أعرف أنك لن تبعديني، وأنا بالقرب أنصت لرائحة حريق، أنظر في كل اتجاه، وأقول لك فتبتسمي، يقتلني الهدوء، ويشدني الحريق، وأعود أنصت ، كل شيء في ازدياد، ماذا حدث؟ تقولين: سافر إلى داخلك، حريقك في ذاتك، ألم أقل لك خفف الخطوات، فأنا إن ملكت حكمت، أضيق المسافة بيني وبينك، ألتقط كفة يدك، أعانقها، فتتوافق النبضات والسخونة تعرف طريقها لجسدي. أعترف لك الآن وأنا وأنت نوغل متشابكى الأيدي، أنت عالم بأكمله،موجة من المد تشمل جسدي، لمسة كفيلة بإذابة جسد تمرن على الصبر.

●●●

٣٦

استيقظت وأنت طيف رافق بعض نومي، أريد القرب، كلماتك، وصورك، ونفسي وبقايا حلم، وجدت اشتياقا لك، فقمت، وجلست أمام صورة لك، تعرفين إحساسى أمامك الآن، إحساس من يريد أن يحاورك، سوف أنظر إلى الصورة قليلا ثم أغادرها إلى الملف لأكتب لك، وأنا هو ذلك الرجل المهاجر إليك، انظري إلى السائر في الطريق، حدقي فيه جيدا، ستجدين بعض أثره داخلك، وربما كان في صمته بجوارك، ربما، هو المهاجر إليك قبل أن يبوح لك بما في صدره سار في كل الطرق، كل تلك الطرق كانت تقذفني بعيدا عن الحياة المحدودة، لكن وقع وجودك جعلني دائما مهاجرا لداخلك، يا كل الحلم كثيرا ما سألت نفسي، هل وجعي من أجل تثبيتك يترك أثرا داخلي، أقول لك اسألي قلبك، هل يدق لأنك تريدين منه ذلك، أم يدق من أجل الحياة، من أجل حياته هو التي يوفرها له إرادة وجدت حتى نكون، كذلك وجعي هو وجع رحيم، وجع لذيذ، أود أن أخبرك بأنني لأول مرة أقول لك وجعي ثبتك داخلي، وأنا عكس ما تظنين، أخشى عليك مني ومن حب جارف ملكني، لكن من يقول لمن؟ أنا أقول لمن تملك الحرف، وتعرف مقدار الكلمة حينما تمس القلب، بالطبع لا، وبالطبع أنت تدركين أن

الحب لا نملك معه إلا الرضوخ، لا أقول كلاما لتأكيد ما وجد بداخلي، ولكن وجود الطبيعة هكذا، أخبريني من وقف أمام السيل ؟ وبعد انتهاء موجته خرج سالمًا.

وبقى سؤال آخر من جملة أسئلتي التي هي بيت المعرفة، كيف يستمر الحب ولا أحد منا يضع رأسه على كتف الآخر حينما يحتاجه؟ لك ولى أقول، دائما نرتكن إلى إحساسنا، وعمق ما وجد بيننا، هو ما يقوي البناء الذي شيدناه، هو السبيل لأن نكمل ونمضي في طريقنا، فهل الحب إلا وجود سكن في القلب ونما، بالله عليك كيف حال من تغرب عنه حبيبه سنوات، يظل قلبه معلقا به، على أمل اللقاء، واللقاء حتمي الوقوع، وكما الدنيا تعطينا حكمها، نحن أيضا يجب أن نتمسك بها، فمن غادرها منسحبا انتهى، انظري إلى توافق الزهور المتجاورة والمختلفة والكتب التي بجواري متراصة في مكتبتي هي لها نفس الصلة والوقع، وحينما يغيبا نجد وجودهما لا نبحث كثيرا عنهما هما في داخل كل منا، الحياة حياة الروح لا الجسد، لا أقول هذا لأبعد اللقاء، فهو حتمي واقع، وكما قلت لك الأيام معنا، وأنا رضيت بالانتظار.

وقبل أن أنهى مناجاتي إليك، أقول لا نامت عين عانقتك ولم ترد إلى أصلها، سلمتِ من كل شر.

●●●

٣٧

لا شيء في خط سير اليوم أبهى من وقت أكون فيه معك، عبر ذاكرة وخيال، يصنعان واقعًا لي، منه أستمد ذلك البريق الذي نحتاجه لنمضي في حياة تكون في أوقات معينة ثقيلة ومملة، لا يكسر حدتها إلا الولوج إلى ذلك الوجود، ولولاه لجمدنا حيث النقطة التي وصلنا إليها، فاللحظة التي تمر وهي بعيدة عن أثرك، لا تكون كتلك التي تتهادى وأنا في حضرتك، الفرق شاسع بينهما، فهل يستوي الهجير مع النسيم العليل، الأول يكمن فيه الجفاف، والثاني النداوة التي تجلب الراحة.

ولأني أعرف ما أنا فيه، تخبرني لحظاتي، أنه لو غفوت عن صلاتي كناسك تحت شجرتك، ربما اختفيت، فأنا دائما أمام ذلك الوجه الذي يقول لي: أنظر لي جيدًا، وحينما أنظر إليه، أقول: تهت، فيشرق بابتسامة، ويهمس: بل ثبت حيث أنت الآن، فهو لحمتك التي بها تمضي.

أحس الآن أمام جلال اللحظات، وأمامك، أنني أغرق في بحر، أسافر حيث مستقرك وحيث الحياة التي يجب أن تكون، لحظاتك كلها سعادة.

الصورة التي التقطتها وأنا عائد من العمل، دفعتني إلى تلك الجولة المحببة إلى نفسي، فكنت على طريق الجسر، رفيق صوتك، فسرت وسط جو ربيعي، نعم كانت الرياح موجودة، لكنها تحمل النسيم، وأنا كنت كعادتي منفصلاً عن كل هذا، كنت معك، كانت سماعة الأذن وصوتك، الصوت يأتي من بعيد، ناعمًا كما أتصوره، يأتي من عمق كيان يحمل طيفك، هكذا أحسست، أحفظ رنته وطريقة نطق كل كلمة، نصوصي الحبيبة إلى نفسي، تلك التي يرددها لسانك.

حملتني نبرة صوتك إلي طبقات عالية، فحلقت ووقت أن جلست تحت شجرة الكافور القائم تحتها السبيل، عدت إلى الصوت مرة أخرى، عدت وعيناي على تلك الخضرة الممتدة أمامي، ولحظة أن انتهى الصوت وأنت تقولين : ودقات صوتك والصمت جنون يسكنني يطيح بملامح البشر من يوم ميلادي ويطبع ملامحك فقط، فقط ملامحك، سكت الصوت فكان انقطاع الصوت عن أذني، أشبه بانقطاع تيار الكهرباء في ظهيرة يوم صيفي شديد الحرارة، ماتت النسمة التي تأتى بها المروحة، وعمت الظلمة المكان، وارتدت عيناي من فوق البراح الأخضر، لكن حينما تذكرت ما قلته عن صوتك:

صوتك من متن الحكاية يولد.

فكيف لى أن أعرف أنه من هناك يأتي

صبرا عليَّ هو الظل إليه أهرع من قيظ الأيام.

عاد الهدوء، وقمت.

تكلمت كثيرًا عن القرية، قلت ما قلت، ومعك دخلت مفردة المدينة، جاوزت السطر إلى آخر، عليه كلمات أكثر شاعرية، الإحساس هو الذي وصلني، كان قويًا ومغايرًا، كنت لا أعرف إلا هذا الوجه، كمن اعتكف داخل منزل بناه، فأعجبه زخرفه فبقي فيه، يتباهى به، لا يفارقه ولأني محب بقيت، ولأني محب سكنت المدينة، أنت مدينتي، وجدتها فيك، فيها الجمال، وواحة الراحة التي أهرع إليها في وقت ضيقي، ولأني رجل مقيم، يعشق البقاء، أحببت تلك المدينة التي لم أرها، واستراحت نفسي إليها، فأشرقت من جديد، لأنك في جملة واحدة، تملكين قوة غامضة لا تدرك، شدتني إلى جوارك، شيء من قبس مسني، عانق داخلي فتغيرت، تركت نفسي والطفل الذي يسكنني ومضيت في شوارع مدينتك، وأنا أقول لنفسي: إذا أردت الاتصال بك فليس عسيرًا، فكل مقيم لا يصعب عليه إيصال كلمته، ولا يصعب عليه أن يكون صديقًا للوقت، فيرضى بغرفة واحدة، يضع فيها كل ما يخصه، زينها بكل جمال للمدينة لديه.

دامت سعادتك ودام جمال روحك.

٣٨

إننـي متفـرق ﮐﮯ النواحـي، فمـدي يديـك وأعيـدى لجسـدي تماسكه، سنوات مـن التيـه وأنـا أبحـث عنـك، جلسـت ﮐﮯ الطرقـات أنظـر إلـى الوجـوه لعلـي أرى علامـة تـدل عليـك، سـنوات وأنـا أجوب الكفور والنجوع والقرى، والبنـادر مكثت كثيـرًا هنـاك الكل أجمـع أن حبيبتـي تسـكن ﮐﮯ مدينـة لا مثيـل لهـا، تسـكنها منـذ سـنوات وعلامتهـا اتسـاع بقاعهـا، وبقـاء ليلهـا موصـولاً بنهارهـا، أتيـت بالأطلـس وبحثـت عـن أوصـاف مدينتـك، غريـب أمـر الرمـل والـودع، وغريـب أمـر تلـك السـيدة التـي جلسـت إليهـا، كانـت ﮐﮯ مقتبـل العمـر، يتضـوع العطـر مـن جسـدها، والشـناف معلـق فـى أنفهـا يطوحـه نسـيم خفيـف، وأنـا وهـي وشـارع قـد خـلا مـن رواده، وعلـى قطعـة مـن قمـاش فـردت رملهـا، وبيـد ثابتـة لا ارتعاشـة فيهـا مهدتـه، وبعدمـا دسـت بعـض الكلمـات للـودع، ألقـت بـه ﮐﮯ حركـة مفاجـأة، فاسـتراحت القطـع البيضـاء، أو لنقـل سـكرية اللـون، ثـم غمـدت إصبعهـا، وراحـت تـدور، ظننتهـا ترسـم طلسـمًا، أو أنهـا سـتقول مـن وحـى مـا نحفـظ عـن سـكتين، إحداهمـا للسـلامة والأخـرى للندامـة، لكنهـا خالفـت مـا اسـتقر، رفعـت إلـيَّ عينـين تألقـت فيهـا دهشـت مـن رأى، فتراجـع داخلـي ضـوء، فلاحظتنـى،

فدنت، وكنت قبالة وجهها .. يا الله حينما نرى من نريد فى عينين تجيدان فن الإيحاء، أنها هناك. قالت المرأة، فعدت للعينين، وجدتك إيزيس حائرة مثلي، تبحث عن مرفأ للاستقرار كل ما بها يقول إنها مشتاقة للإبحار، قاربها على الشاطئ فى انتظار الربان وهى وقفت على الطريق تنتظر، بلا رغبة فى بناء ما دمرته الأيام.

دائما لا نملك القدرة فى وقت النظر على خلق صورة كاملة، نحتاج لأن نخزن وحينما نخلو لأنفسنا، نعيد ما رأينا، وننتظر صورة واحدة تجعلنا نقول وجدتها، خزنت ما قدرت، وقالت لي المرأة وهى تلم غزلها، كنا بالقرب، فقد ضيع التاريخ كل من ركب زورق الغواية.

فى ركني الهادئ، جلست ونظرت إلى كل صفاتك التي منحتني إياها رتبتها فكنت شيئًا نورانيًا، ياه منها الحكاية، أنتِ من جمعت أشلاء أوزوريس، فكنت أنا، وكانت صورتي من خلف الجهاز، دائما أنظر إلى صورتك، أضع عيني فى عينيك، وفى لحظة ما أنسحب، وأميل بهما على المكتب وأقول لنفسي إنها مقبلة نحوي، وعندما أرفع عينيّ، أجد الصورة قد سكنت القلب، وقتها لا حاجة لى بالشاشة، فالتي هاجرت إلى داخلي أبقى وأنفع . حكينا في جلساتنا عن العاشقين، كان منهم أسماء

مضت فى عصور غابرة، ومنهم حديثو العهد، جبران ومي، فهل نجحت مي فى جمع أشلاء جبران، الطارق لسيرتهما من الخارج، يقول لا، لم يلتقيا تحت سقف واحد، لم يكن هناك لقاء حتمي، أقول لا، كلامك ليس صحيحًا، هي نجحت فى جعل جبران يخط أجمل ما وصلنا من رسائل الحب، هي من زرعت بداخله الأمل فتطلع للحياة، لكن القدر شاء ورحل فى مقتبل شبابه، وبقيت الحكاية وما قيل، لذلك سنكون حيث نريد، وسنمضي فى طريقنا، وإن لاح لنا الواقع الحلم، نثبت رايتنا، ونقول: لنقم هنا.

●●●

٣٩

دائما الغياب لا يعني أنك بعيدة عني..أو أنك قريبة لكن قرب من هو في حكم البعيد..لكن ما أفعله أنا مع الوقت عكس هذا تماما..فأنا من يصبح في غربة..فالحياة التي وجدت وصرت معها مولودا جديدا..ومعها صرت أيضا قادرا علي التحليق وعلي السفر..ولذلك غربتي في بعادك هى أقسي أنواع الغربة التي يشعر بها كياني...وحتي أخف من وطأتها..أكون بين فينة وأخرى في حضرتك..فغيابك لحظتها يكون غياب حضور...وهناك أردد...انى أحبك...نوع من تثبيت الوجود الدائم...أفعل هذا حتى لا أتوه.. وتكونين فيضا من حيوات قادرة على الصمود داخلي وأكون أنا مشغولا بك فالتفاصيل كثيرة ومستقرة فكل ما دار بيننا من كلمات باق كنقش وجد.. يكون فأكون مرددا وكأني أعيد السعادة لتكون في معيتي دائما ترى عين قلبي..وتدرك بل وتنصت..فكل ما وصلني منه هو نوع من الترانيم التي تعيش بين جدران بيت الذاكرة..فقط أنا وأنت..في هذا العالم ..فقط أنا وأنت في هذا الفضاء..فقط أنا وأنت من خلق لنا الله الحب..وقال هو لكما فكونا كواحد صحيح.

مـع تلـك الرحلـة اليوميـة، التـي أكـون فيهـا معـك، أسـافر كثيـرا، إلـى أماكـن تركنـا فيهـا عطـر اللقـاءات، وبالأخـص عطـرك أنـت، أنـا لا أسـتطيع أن أنسـي تلـك المقاعـد ولا تلـك المسـاحات التـي كانـت تضمنـا في أحلامـي، لذلـك أنـا لا أهـاب رحلتـي تلـك، هـي زاد لـي مرتبطـة بـك ومرتبطـة بروحـي، فهـي مجـال للمناجـاة، وبـك أنـت ككيـان أرى فيـه نفسـي.

كان البعـد هـو القـادر علـي فتـح أبـواب القلـب علـى بـراح لـم أكـن أظـن أننـي أوجـد فيـه ذات يـوم، فـإن القلـب يـدرك أن مـا وجـد داخلـه هـو بمثابـة كلمـة، والكلمـة أمانـة حملهـا الإنسـان أودعهـا اللّه لديـه، هـي غاليـة وهـي غايـة، ومـا دامـت الأرواح تلاقـت تحـت قـدرة اللّه، فهـي في وجودهـا باقيـة. فقـد اختـارت السـكن بجـوارك، وكلمـا تبعثـرت، وتحولـت إلـى شـظايا، فإنهـا تعـود وتتجمـع وتلـك سـنة الأشـياء التـي تتجـاذب، فمـا أقـوي الانجـذاب بعـد الابتعـاد!!

وحينمـا أكـون مـع الوقـت، والخطـوات تتلاحـق بهـدوء في شـوارع بلدتـي، في رحلتـي الصباحيـة تكـون عينـي مـع مفـردات مـا ملـت مـن متابعتهـا ولا الوقـوف عندهـا، كنـت قديمـا أفعـل هـذا، أمـا منـذ لحظـة مولـدى الثانيـة، أسـلم للمفـردات نظرتـي، وهنـاك علـى تلـك الواجهـات والمفـردات التـي تشـدني، أوقـع معهـا اتفاقيـة البقـاء، فأتـرك نظرتـي وأنـت بداخلهـا علـي بقـع الجمـال أينمـا وجـدت وكانـت، فتتسـاقط أشـياء قديمة،مـن عمـق النظـرة التـي

تسكنين عينها، فسارت اللحظات تلك، تخلق وجودا، عبر لحم الشوارع أكون أنا، وتكونين أنت شارتي الجميلة التي أثبتها في كل مكان.. وأنا على دراية بكل ما يكون ويوجد، فالوقت هذا مستقطع بهدوء وجودك، أنه يشبهك، ويشبه ما درجت عليه، وما أصبحت فيه أعيش، لا ضجيج، تماما كوقت تلك اللحظات التي أكون على متنها في رحلتي، حتي وجمر الشوق يشتعل داخلي، فتخرج منه ألسنة تطال ضفاف القلب، أستكين، فالضجيج أبدا لا يوجدك، ولا يجعلك حاضرة، مدرك لهذه الحقيقة، ومدرك لوجودك كونه هو أنا، فحينما أردد مقولة درويش : أنا لست لي..فأنا أعنيها ، أنا لك أو أنا عبرك أكون، بدلالة القلب الذي لا يسمح لي بان أكون بعيدا عن مدارك، الوقت دائما في ذهن من يعرف أهميته، هو الموقظ الأول لداخل الانسان، والمحرك لكيانه ليكون مع دورانه، حيث النوم واليقظة، والسعى والراحة، والناس حينما تسأل عنه فهي تريد أن تثبته أو تستعجله ليمضى حتي تكون حيث تريد، وأنا معه أكون في سريانه، فكل ساعة تمضى من دون أن تترك علامة تدل عليك، أبدا لن أحسبها، لن تكون مضافة إليَّ، ولا أنا مضافا إليها، سأعتبرها ساعة مسروقة ولن تعود.. فدائما أنا مع الوقت ومعك أكون.

●●●

٤٠

وجدتِ في حياتي وتكونت الحياة الجديدة، أنت من فعلت هذا التغير، فمن فعلت هذا لا تنسى، ومن أوجد حياة من العدم لن ينسى، ومن أضاء لا ينسى، ولا يوجد تعود على البعاد، فالكلمة لم توجد، البعاد يكون فعل مفارقة، وأنت باقية داخلي عبرك تتم حياتي، ومنها أمضي عبر الأيام، قلت كثيرًا أنني أحملك شحنة ضوء داخلي، لن تنتهي، ولن يكون هناك أى معني للتعود أو البعاد.

أما السؤال الصحيح..كيف هي حياتي الآن؟

وتلك حياة لم تكن مفرداتها قد اقتربت مني، أصبحت أكثر ميلا للوحدة، وأصبحت دائم الجلوس مع كل ما يتعلق بك وبي، حواراتنا، ونصوصك و نصوصي، وصورنا، كل شيء، ومع هذا الطقس، تولد دموعي، لم أقسُ عليك، ولم أحملك أي شيء، وأنا قلت لك رضيت بحكم الوقت، وأني سعيد بهذا الشكل من الوجود، قدرت ظروفك، واقتنعت بحياتي في ظل وجودك

الآن أتمنى أن أمتلك أجنحة طائر عملاق، حتى أطير، وأقترب من شباكك، والقي نظرة عليك وأعود، بالتأكيد إن

إحساسي لم يعد هنا، إنه بجوارك، ريحك قوية يا سيدتي، وقادرة على حملي إلى أي مكان تكونين فيه، قلت لصورتك: أنت تعرفين..أخبريها بما تعرفين..ربما تنصت إليك... حتما سوف تخبرك .....كم هي قوية!

دائما نقول حينما نملك عينًا جميلة نرى كل شيء جميلاً، مقولة سأغيرها، وأقول حينما نعشق الجمال الذي تظهر مفرداته في كل شيء: في الكلمة، وفي طريقة التفكير، وفي الوجه المريح، وفي النصف المكمل، ساعتها سوف نرى كل شيء جميلاً، لأننا أصبحنا في محراب الجمال نعيش، وقتها سنتغير، ويتغير داخلنا ونعيد ترتيب حياتنا، ولم لا والنور سيكون البناية التي تضمنا، وأن الرقي هو في الأساس، تسهيل وجمال ويسر، تسهيل ويسر: يجعلنا نرى كل العقبات مهما كانت، صغيرة وسهلة، لن يقف العقل أمامها، سوف يجد لها الحل، وهو أيضا لا يحتاج لتعقيد، وهو لا يخضع للحسابات، يخضع للإحساس، ولتلاقي الأرواح وحوارها.

أحيانا كثيرة، وتلك عادة في حياتي، أسمع كلمات، كلمات لا رنة فيها، ولا تحمل أي صفة لأصواتنا، كلمات تحس، تخترق النفس، كتلك التي تزورنا في أحلامنا، هل نراها؟ بالطبع لا، تحس لأننا نكون في عالم آخر، كلمات تسعدنا، وتعيد لنا عوامل

قوتنا، فنبدع ونكون مختلفين، ونلقي بظلالنا على كل من يقترب منا في هذا اليوم، فالروح هي من تكون القائدة، لن تسمح بأن تمر اللحظات من دون أن تذكرنا بأنها طائرة في فضاء شاسع، فضاء لا حدود لها، فضاء يخصنا، هناك حيث كل شيء في مكانه فقط، ليراقب أفعالنا في ذلك اليوم...لا حرمني الله من فيض وجودك، ولا من السعادة التي توجدينها داخلي.

●●●

٤١

عندما يضيق عالمي، ألج باب وجودك، كرحال يدخل باب مدينة تفتح له أبوابها، لا أكون مجبرًا بقوانين الزائر، وتعليمات كثيرة، بل أصبح حرًا طليقًا، ومنفيًا بذاتي وباختياري لأرضك، بروح تشرق كلما أخذته دروب مدينتك، وكلما سافرت الروح إليك، هى تعرف أن سفرها فى مثل هذه الأوقات تمنحني لونًا خاصًا، تضيف إليَّ، وتعلمني فن الاسترخاء، لأننى تعلمت معك وآمنت بتلك المقولة التي قرأتها منذ سنوات، فحفظتها، أحببت المعنى، لكن ظل عمقها، فكان معك مولودًا جديدًا إذا تقاربت القلوب فلا يضر تباعد الأبدان ، فإنك لا ترى النجوم دائما ولكن اعلم أنها موجودة في سماء القلوب.

وهناك وأنا في رحلتي، بحثت عن لقاء بين الروحين لا يشاركها فيه شيء أو أحد، فأمام الصمت الصارخ تعطي الروح فرصتها لتأمل عميق، تأمل هادئ، تستلهم منه بصيصًا للأمل يعين على المضي قدما، وهناك أريد لك ولي جوًا نفسيًا نستنشقه معا، لا حزن فيه، وأقول لك: دعي روحي بالقرب منك، فى كل مكان تكونين فيه وخصوصا تلك التى لنا فيها ذكريات، فالمحب لا يبرح مكانه ، فالأماكن جزء منا، تاريخ

يخصنا، فكيف الهروب، وكيف يكون ما بداخلنا لو تحرك نحو تلك الأماكن؟ ومدينتك، صنعت لى مكوناتها، ولمكوناتها أرواح تسكنني، أرواحهم تستمد مكاناتها من كل وقت قضيناه هناك، ومن كل كلمة قيلت، ومن كل رغبة حبست، لذلك افتحى أبواب مدينتك للمسافر إليك.

ولنزح عن أعيننا غمامة الحزن ولنفتح المجال لشمس عشق دافئة، إحساسنا نحن، وليس إحساس الآخر هو الذي يخرجنا من الظلمات إلى النور، فلنفتح الأبواب والشبابيك، نبتسم في وجه الحياة، ما أروع أن يجد الإنسان نفسه بحاجة إلى مزيد من التعلق بالحياة وفهمها بعمقها اللاملموس ليس حبًا بالخلود إنما لوجود أشخاص يشاركوننا كل شيء، أشخاص يمثلون في حياتنا كل الحياة، ينثرون العطر على درب نسير فيه ويذيبون صقيع ذواتنا، يكونون لنا الوطن، لذلك لندع قلوبنا مشرعة لكل حبيب ولنعش الحياة كما هي ، كي لا نفنى دون حب، وأنتِ لديك عالمك الذى يقود قطارك وحياتك، لا أعرف الآن أين أنت من تلك الحالة التى تلبستك، لا أعرف، أتمنى أن يكون قطارك قارب على الوصول لبر الامان، حيث حياتك التى تحبينها والتى كانت لك.

فالترحـال إليـك مليكتـي دائـم ومسـتمر، مهمـا حـدث ومهـا كان أنـا هـو ذلـك الرجل الـذي هاجـر إليـك، وسـكن مدينتك، وكان بالقـرب، بـل قـرب الرقـب، لا يعنيـه فـى كل محيطـه إلا نظرتـه التـي تمتلئ بـك، لا شـيء يمنـع الرؤيـة ويمنعـا مـا دام الفضـاء كلـه لـي، وحتـى وإن ضنـت الأيـام علـى بـأي إشـارة منـك، فأنـا سـيد طريقـي، سـأعرف كيـف أكـون بجـوارك، إن مـن أحـب لـن يقـف صامتًـا، فالحـب يعـين ويقـوي لأنـه وجـد فـى دنيـا الوضـوح، انحرافـه عـن الطريـق السـليم علامـة تقـول لنـا بأننـا يجـب أن نغيـر الدفـة، هنـاك تقصيـر مـا مـن أحـد الطرفـين، هـذا نقـول عنـه وقـت تـأزم مـا وجـد، ولحظـة أن نبحـث عـن كلمـات فـلا نجدهـا، هـى أوقـات نصنـع مـن خلالهـا الوشـائج، وعلامـات نضعهـا ونسـير، لا نرضـى بأنصـاف الحيـاة، ولا جلهـا، هـى حيـاة كاملـة كمـال الأرواح التـى امتزجـت وانصهـرت، مـن يحـب لا يفـارق ولا يكـون سـببًا فـى ظهـور الغيـوم التـى تمطـر القلبـين، برذاذهـا، الحكمـة لحظتهـا تسـتدعي المقاومـة حتـى نكـون قادريـن علـى فعـل المواجهـة، والخـروج مـن تلـك المعركـة ونحـن أكثـر صلابـة، تعـادل صلابـة ذلـك الحـب الـذى نمـا، وأصبـح صرحًـا شـاهقًا ...مكتوبًـا عليـه الحـروف الأولـى مـن اسـمينا،، وجملـة إنـى أحبـك.

●●●

٤٢

أصبحت بعد ليلة مرت عليَّ، لا أحمل من عوامل التماسك شيئا، وكأن رصيدي من الحياة نفد، فتحت الصور وخاطبتك كثيرا، بقيت أنا والصور وحديث صامت لم يكن قادرا علي إعادة أي نوع من الراحة النفسيةلي، الصور في حضورها، تحمل ذكرى لحظتها، أفلحت واستطاعت أن تسقظ دموعي، تلك الدموع أظهرت الهشاشة التي أصبحت فيها، وفسرت لماذا احتجبت الحياة عني، حتي الكلمات لا تأتي وتصبح طيعة إلا حينما أكتب إليك، وما عدا ذلك حاولت وفشلت، نعم حاولت وفشلت، فكل ما وجد كان بلا روح، مجرد كلمات صاغها قلم تعلم وتدرب، كانت الصنعة غالبة، حال أصبحت لا أطيقها، فمن عانق سنا روح امتزجت معه، فحلق في دنيا جديدة، أعادت له ما كان يجب أن يكون له، أبدا لن يرضى ولا تقنع نفسه إلا بالعودة والجلوس تحت مرمى هذا النور لن أكون متجاوزا حينما أقول لك، عاتبتك، نعم عاتبت فيك روح المرأة التي أحبت، والتي أخذت بيد رجل ، وجعلته يرى الوجه الآخر للحياة، حياة كان يقرأ عنها ولم يكن يظن يوما أنه سيدخلها، تعلم منها الكثير، وفي جملة واحدة أعادت صياغة حياته، وهو حملها داخله كشعاع

ضوء دائما يرشده، وينير له الطريق، كانت حياة ثانية وميلاداً ثانيًا على وقع كلمة أحبك، عاتبتك فكيف ترضين بالصمت وأنت تعلمين أن من جعلك كل دنياه يتألم في البعاد، ليس هذا وفقط، بل اكتشف مع الألم أنه ضعيف بحبه وقليل الحيلة، صغتان ما كانتا تعرفان الطريق إليه أبدا، كنت أقول دائما أنني ثابت كالنخيل التي غرسها أجدادي، أو كتلك الجدران التي ما زالت تحمل رائحة عرقهم، أنا حفيد تلك المرأة التي ضمت إلى صدرها حزن عائلة بأكملها ولا زالت كما هي تملك حكايتها وتأثيرها رغم تجاوزها لعقدها التاسع، هل أنا هو هذا الحفيد، بالطبع أنا مولود جديد أنت من منحته تاريخه الجديد الذي تراكم ، لك كل الفضل في عودتي لتلك الحياة. فأنا كما تعلمين ما زلت أنظر إليك، نظرة من تعلقت عيناه بنور، لو ابتعد عنه ضل، وهذا الوصف قلته لك كثيرا، أكثر مما كان قلبي يتمناه، فقد كان مانحا للحياة ونبضه مقياس وجودها، أما ما فوقها كان حلما، قرأت عن تلك الحال، وكتبت لك عنها، وفي وقت من الأوقات كان مجرد التفكير فيها، يعد ضربا من ضروب أحلام اليقظة التي لو استقرت، ستكون كابوسية في حضورها، فالتقدم في العمر، يورث رغبة الحياة كحياة أما ما فوقها فهو لأصحاب الهمم العالية، لذلك كان عتابي لمن قرأت روحي، أتذكرين كيف كانت رائعة تلك التي كانت تخاف عليَّ،

تلك التي كان يهزني خوفها عليَّ وقت السفر إليها، صاحب الوجه الذي تعلقت به يوم أن شب الحريق بالأتوبيس ، يومها وأنا يخيل إليَّ أنني على مشارف الموت، وسط صراخ كل الركاب، كنت أنت، بابتسامتك المضيئة ، تأخذين بيدي بعيدا عن الخوف، بعيدا عن رائحة الموت، ومع هذا والقلوب كلها لا تصدق فكرة النجاة وهم خارج ذلك الصندوق، كنت معي وصوتك يأتيني بعد الثالثة ظهرا، تعلقت به وبك، فهل من تعلق بك في لحظاته الأخيرة هكذا كان يوقن وقتها بحياة أخرى؟ وأنا الآن أعاتبك، وعتاب المحب لا يخرج من نطاق النداء الهامس، وأنا فعلت هذا وصمتك خلفية لي، لو طال صمتك، أسهمت في زيادة طبقات الحزن، بخلت عليَّ، وكأني غريب، أو عابر سبيل، حتي هؤلاء في رحلتهم يجدون من يحنو عليهم، ويمد يد العون اليهم. آه ، نحن البشر لحظاتنا تقوى وتضعف بالأحباء القريبين منا، ربما بعضنا يملك القوة ليمضي، أنا لست منهم، أنا لست منهم.. وسوف أكمل لك.. .

قوتي منك جاءت، وليس من شيء آخر، حبك صاغ تلك الحياة بقربك، ودعيني أقل لك إني لو خيرت بين أمرين إلا اخترت أصعبهما، لا أعرف هل كان اختيارك تلك الصورة لتكون وقفتك أمامها، بداية لأن أختار جوارك وهو المحبب إلي نفسي

والتي تري فيه النجاة، هل كان هو الطريق الأصعب، أنت من وضعتِ قدمي عليه، بداية جنتي ، فكل من جنة واحدة على الأرض، كنت أظنها الكلمة التي خدعتني سنوات وأوهمتني أنني مميز بوجودها، كانت تقول هذا حتي لا يعرف اليأس أى منفذ لقلبي، ويوم أن استقر وجودك ، عرفت أنك جنتي، وأشرقت كلمتي، وارتدت ثوبا جديدا. حضورك فعل بي هذا، وقربك أيضا، وهمسك الذي روى ظمأ نفس جدبة، أما الآن، فأنا أعيش في ضعف ووهن أصابا الروح، فقاربت على أن تسأم الحياة.

طرقت أبواب أشياء كثيرة لأصنع تسلية لها، لتظل صامدة، ترضى بالانتظار الذي لا مناص منه، بعدما ارتضيت به، وجدتني في كل مرة طيفك وحالك وما وصلت إليه أنا، كلها تجعلني يجعلونني معك في مكان ما، لذلك كانت كلمات عتابي لك، وكانت تلك الليلة. والآن خبريني.. .إلي متي يستمر صمتك؟

طوال شهر مضي حاولت استعادتك ، حاولت أن أكون قريبا منك، لكن الظاهر أنني لم أوفق وأنت كم قلت في آخر كلمات لك " لا تستطيعين الرجوع"" قد يكون منطقا غير مفهوم لدي، لأن من يحب يسعى بكل الطرق ليكون قريبا، هذا فكري أنا، فكرت كثيرا قبل أن أقول لك الكلمات الآتية، في النهاية ما استقر من

صمت أو بعاد من قبلك جعلني أقول لك إذا كان قرارك أنت فأنا لا أملك خيارًا معه، غير الدعاء لك، والدعاء لنفسي، والبقاء علي عهد حبك، فمن غيرت حياتي استقرت كوجود وكحياة لم تكن وليدة هذا الفضاء، لكنها لامست الواقع، عشت معها، وجلست إليها، وحلمت بحياة أعيشها معها، أصبحت كل حياتي، وستستمر، مهما كان قرارك، فمن يحمل داخله شحنة ضوء قادته لحياة ما كان يحلم بها لن يفرط فيها ستكون معه ومن أجلك أنت أقول...حتي لا تظلي هكذا تحملين همي، هم ما سوف أكون عليه، هكذا أتصور أنا، أنك تخافين عليَّ من أثر قرار اتخذته، أو تقولين بأنك ظلمتيني، وأنا أقول لك لا تخافي لأنك ستكونين معي، صحيح بلا اتصال، لكن وجودك داخلي هو حياة لا تقبل الانتهاء إلا بإنتهاء حياتي، وأنت لم تظلمتيني أنت منحتني حياة ما كنت أحلم بها، وستمضي بي الأيام وانت معي ، فكري الآن في نفسك، ولا تحتاري ولا تقلقي عليَّ.. اللّٰه معي ومعك.

●●●

٤٣

أكاد أجزم جزما لا شك فيه أن تلك الحياة هي انعكاس لك، قبل أن يكون قدري الذي كتب لي، فالحدث نفسه كان مبهرًا، هو وحده الذي أوجد ما أنا عليه، هو وحده الحب الذي يحول حياة عادية لحياة توصف بأنها استثناء، وتلك الحياة ما كانت لتوجد لولا المساحة التي ركض فيها عقلي خلف كيان كان في اختلافه، تمنيت كثيرا أن أكون في رفقته، شاركني ذلك الأمل الحياة، فلما طال زمن غيابه، كدت أتراجع عنه، لكن حينما وجدنا عند الخط الفاصل فى تلك الليلة، التي صدح فيها قلبانا في دنيا وجدت لهما، اكتشفت أن كنزي في روحي، ومن المؤلم الآن العودة لتلك الحياة التي كانت، حتي لو كانت العودة من أجل كلمات أريدها، وتلك خصال من عانق السنا وجلس بجواره، وتشرب جسده كله بعطره، عالم كهذا هو الفردوس المفقود للباحثين عن الاستثناء في الحياة، سعيد من عثر عليه، وركن إلى ظلاله، وتعيس من مر عليه ولم يكتشفه.

تلك الجنة جعلتني أفكر كثيرًا في إرث تعلق بي، إرث فكرة كانت تسكنني بأن العودة للقديم هي تقدم، تلك الفكرة كانت محور كل شيء، وذلك الكيان الذي ولد على يديك، حجمها

كثيـرًا، واليـوم سـأقول لـك: أنـت قـدرت علـى تنظيـم تلـك الفوضـى التـي كنـت أعيـش فيهـا.

يقتـرب اليـوم الـذي أدخلتنـي فيـه إلـى جنتـك، ولـي أمنيـة، سـأقولها، لكـن رجـاء لا تغضبـي منـي إذا لـم توافقـي عليهـا، حنينـي إليـك يدفعنـي لأن أطلـب رؤيتـك في هـذا اليـوم، تعرفـين تلـك اللحظـات التـي كنـا نقـف قبالـة بعضنـا علـى محطـة المترو وأنـت في اتجـاه حلـوان وأنـا في اتجـاه رمسـيس، تلـك اللحظـات تكفـي، نعـم تكفـي يكفينـي أن أغسـل عينـي برؤيتـك، يكفينـي هـذا القـدر مـن الوقـت..

مـع بدايـة نهـار تختلـط فيـه أصـوات العصافيـر ودقـات القلـب، وكل هـذا اختلـط مـع وقـت قضيتـه فـى رحـاب كلماتـك..

"معالـم علـى الطريـق تحفـظ المعانـي وكنـت أحسـب المعانـي بـلا ظـلال علـى الأرض تسـير ومقعـد لـي أمـام منبـت الشـروق يدمـن وجـودي يعـرف أننـى لا بـد عائـدة..»

ذاك الوقـت الـذي أكـون فيـه علـي مـتن كلماتـك، أكـون كمـن اندفـع نحـو السـماء، وهنـاك أشـاهد بهـا بديـع مـا تحبـه عينـي، وبديـع الكلـم كيـان اغتسـل بنـور الصبـح، فـكان الأثـر الـذي تتركـه كل كلمـة.

هـي الكلمـة، قطـع الـروح، حـروف تنظـم، فتكون، وعلـى سـطر تسـتقيم، فهـي إن وجـدت، وعانقتهـا العينـان فيـا سـعد مـن يضمـه.

خبريني كيف يكون السكون في حضرة الروض متعة؟

وكيـف يصبـح الرحيـل عبـر كلمـات وجـدت علـي نهـر فتـح أبوابـه سـياحة وجـود؟

وكيف ينبت الورد في وقت عناق الحرف ؟

وكيف تختصر بضع كلمات كتب العشق؟

وكيف نكون علي متن سحابة؟

هل جربتها؟

أنا كنت في صحبتها

يـاه منـه كيـان اغتسـل بالحـب، وتوضـأ بالعشـق حـين اسـتكان، فـكان منشـطرًا، بـين أن يكـون ذائبًـا كليـا فيمـن عشـق وبـين أن يكـون محافظًـا علـى ضـوء شـعاعه حتـى يـرى ويمضـي، كـم هـو رائـع هـذا الكيـان العاشـق، نـدرة زهـرة بريـة أنبتتهـا قطـرة مطـر واحـدة في صبـاح يـزف إلينـا يومًـا مـن أيـام العيـد، سـنحوله حتمـا إلـى كنـز يـدوم، بمـا سـوف نحملـه مـن لحظـات أنـا أعرفهـا وأعـرف كيـف أجدهـا، العمـر هكـذا لحظـة في عمـر الزمـن فلـم لا نكـون في مـتن ابتسـامة خجلـة تفتـح عيونهـا للنهـار تشـتهي منـا كل الحـب.

ليس من المحال أن نكون حيث نريد، وحيث نحب، فارتجافة القلب تكفي رسالة، احتضان طيف دليل وجود وبقاء، فاليوم لا يكتب شيئًا، نحن نفعل ما يليق به، أعرف أننا أحيانا قد نكون في حال يصعب معها الحركة، لكننا رغم ذلك نجعله يوم بقاء، ولا يكون هذا إلا بالتعلق بأسباب تجعله يوما مميزًا، وأنت أسبابي.

سأكون أينما يكون سنا وجودك ومهما احتجب، فهو داخلي، أعيده للحياة، سأكون في كل لحظاتي كمن يحمل فوق قلبه وفي مكان مميز تميمة عمره، يعرف أنه لو فقد ظلها تلاشى، فكيف يكون وقته؟ بالطبع سيكون سائرًا وحلمه داخله، يجعله مكان الروح التي فارقت الوعاء إليك، فالأمس مضى، كنت معى، رغم أنه يوم عيد إلا أنه لا يكون كاملاً لدي، دائما يكون ثقيلاً عليَّ، فالنظرة إلى عيون البنات، تخبرني أنهن ينقصهن الشيء المهم، تنقصهن اليد التي تمتد لتعقص لهن الشعر، تنقصهن ظلال السعادة ويد يردنها لتمتد فتربت عليهن، دائما يمضي ودائما أحاول أن أتعلق بأسباب الحياة، ومنذ دخلت حياتي، وأنا متشبث بتلك الأسباب، وهى التي تجعلني أعانق البنات بكل قوة، لا أتركهم يغيبون عني، دائما يكونون معي، الأسباب وحدها هي التي تصنع هذا، فالكيان العامر بالحب، هو كيان يمنح نفس الحب لمن يقترب منه.

مبـارك وجـودك، ومباركـة تلـك الأيـام التـي جعلتنـي في معيـة وجـودك، ومعـك أكـون ، ومـع صوتـك الـذي يسـكنني أعـزف أجمـل لحـن تكتبـه كل جوارحـي، سـأحملك بداخلـي وأمضـي سـتكونين داخـل العـين، بـك أرى الدنيـا بطريقـة أخـرى، طريقـة تحيـل كل مـا حولـي إلـى أسـباب بقـاء لأوجـد..

●●●

٤٤

لـم يكـن مـن دأبـي أن أمضـى الليـل هكـذا، أقـول هكـذا، وتلـك سـأفسـرها، فبعـد غـروب الشـمس، يحـل الظـلام، وظـلام قريتنـا في شـوارعها، أمـا البيـوت فإنهـا مسـكونة بالحيـاة، وبيتـي أنـا لا تسـكنه إلا الذكريـات، ودخـول الليـل يعنـي مداعبـة النـوم للعيـون، فينـام أهـل البيـت، وأظـل أنـا، ومحاصـرة اللحظـات لـي، يدفعنـي إلـى التمسـك بالحيـاة، والحيـاة أنـت، ومـن هنـا يبـدأ الواقـع الخـاص بـى.

أدس في قلبـي صورتـك، فينتشـر الـدفء، وكلماتـك أمـلأ بهـا عينـيّ، فيتغلغـل الشـبع، أذكـر أن الحـال كان يختلـف قديمًـا، كنـت ألتحـف الوحـدة، وأصـوغ جمـل الوقـت مـن قامـوس عفـى عليـه الزمـان، والآن أغـذي الوقـت بالوقـود الـلازم، تسـتغرقني تلـك المهمـة فتصرفنـي عـن النـوم، في انتظـار إشـراق وجهـك، ولحظـة أن أقـول لـك، كـم هـو جميـل، ذكرينـي بجملتـك، تذكرينهـا؟ نعـم هـي، هـو جميـل بفعـل حـرارة قربـك، يـاه، متـى تأتـين؟

سـأصف لـك حالـي حينمـا أكـون بجـوارك، في بدايـة السـير نكـون متجاوريـن، ثـم أرتـد قليـلاً، وأنظـر إليـك، فـأرى حوريـة امتلكـت كل شـيء،القوام يشـرق مـن تحـت الـرداء، والشـموخ أكثـر

ما يلفت النظر العابر،أما المستقر قليلا سيدرك عبء النظرة لو طالت، وشيئا فشيئا أدنو منك، أشم رائحة جسدك، تعرفين قديما قالوا، لو دخلت حانوتا للعطارة فترفق بنفسك، ففيه ثقافات أمم شتى وأنا أقول رائحتك مزيج من مسك كل النساء، والمسك المصفى عرقك.

تصلني الرائحة، فتثور نفسي، وأعود إليك فتخمد الضوضاء، وأبدو جوارك ملكًا توهج لتوه، يسكره الشبع، عكس شعوري الآن فأنا مع وحدتي، وثالثا نهم الجوع ضيف ثقيل ، بعد قليل سيرحل، نعم سيرحل حينما ينتصف ليلى، وربما في جدار الليل السميك، أنجح وأفتح ثغرة، أقول ربما، فالنهوض من دائرة الصمت، بعد أن غفت كلماتي، سيكون عملاً صعبًا، والصمت يجردني من كل قواي

خامرنى بعض الفضول فسألته عن الأمل، وعن وعد قطعته، فأرسل إلىّ نظرة، دائما تخترق ستر الصبر الذي نحل من طول الارتداء، قال لي: ربما. ولما مضى الوقت، تطلعت إلى سكون غرفتي، وتحت ضوء شديد، كانت كلماتي قد ارتفع صوت نعاسها، وفى نومها ترى يدًا رقيقة تربت عليها حينًا، وحينا آخر تحاول أن توقظها، وأنا في مكاني، أهدئ قلبي، فقد فاض شوقه، وقريبًا سوف يشهد احتراقي، والسؤال الآن ...متى احترق؟

وجهك يطل عليّ من خلف الشاشة في صورة لن يفلح رسامو العالم في نقلها، ستخون العين كل من يقترب، فما بال من ينحرف قليلا ، فمقدار إلقاء النظرة سيجد الثغر، عليهما تقف الكلمات، كلها لا تعيى العين، فهي تعرف أن ثمة لغة أخرى يتقنها الثغر، مهما حاول وتخفى، فصيحة كتلك التي تعلمناها في كتاب القرية، كتلك التي عشقنا مكوناتها وهى تعانق لوح الإردواز، تعرفينها لا تقولين لا، ربما ذات لقاء سنتعلمها معا، لغة العالم الأولى، لغة الهمس، وتلك هي بداية الاحتراق الذي لو تم على أكمل وجه، سوف تكتمل اللوحة، بالسفر إلى لغة أخرى، نعم لن أخوض في حروفها، فاكتمال اللوحة ربما تحتاج إليهامفردتها الوحيدة سأقولها سامحيني، هي تنهيدة يخلفها لقاء مرتقب.

●●●

٤٥

كنا قد وصلنا لمنتصف الليل، كل شيء حولي ساكن، ولا شيء يشغلني غير صورة أعانق كل ما فيها، وكلمة وحيدة أرددها (كل عام وأنت حبيبة)، دقائق مضت والإشراق يزحف على الوجنتين، مخضبًا براحهما بحياة، تتثاقل الأشياء بحضورها، تصبح حاضرة، وقادرة، وفى جانب حضورها، بعض الكلمات، تجعلنى أتأمل العينين الخاليتين من حواجز تمنع الرؤية، أتوه في لجة من صمت مقدس، كان لبعضه مني اقتراب، وبعضه كنت أخجل من استمرار عناقه.

لن يكون من السهل أن أحدق كثيرًا، لذلك أقرر فض تزاوج العينين لثوان، ثم أعود فأجد الوجه يرتدي سمت العذراء في سكونها، وتكون الكلمة: أحبك.

ربما للحظات أكون غائبًا أقبض على الشفتين، أو ألمس الكف، أو حتى أطلب العناق، رغبة في السفر البعيد.

تتحطم الحواجز، كما لو كنت أكتب قصتي، أنا والعالم من حولي في امتزاج، من يكتب من، ومن يجاوب من، الكل في واحد، والنصف أنا، لا طاقة لي بكل هذا الوسن الساكن في عينين باسمتين، بهما وجه يغسله الفرح، في عمقهما أستريح.

أفتش عن صورة، عن حفنة من وجوه كانت، لا أثر لشيء هناك، وحدها قد جمعت وضمت، وانتقت، وما سمحت لغير حضورها ليكون قطعة من كيان ولد، ليكبر، ليصبح بناء هائلاً، حجب كل ما جاوره.وابتسمت، وقلتِ: أريد سعادتك.

ياه تحطمت مزاليج العمر الماضي، ودفعت السنون بنفسها للأمام، كانت الكلمات كافية لكسر توازن النفس، وجدران الصمت الكثيفة.

وفى سكون الصمت وصلني رجع صدى لصوت يأتي من بعيد، تستيقظ الوجوه من غفوتها، بعد كل هذا الزمان، وجدتها بجوارك هناك على المقعد الرخامي، كانت قريبة، لمحتها تأتي تعبر النهر، تهمل كمًا من العيون، وكذلك عين النادل الذي كانت يترصدنا، تلك العين التي صُدت منك ومني كثيرًا، وحتى نصرفه، قلنا: شاي.

لكن مع مرور الثواني التي كنتُ لا أريد لها أن تمضي، امتدت يدها، أنا لاحظتها، كانت بجوارك، لم يحدث منها صوت على الإطلاق، هي ويدها وسكون يخيم علينا، كنا لحظتها في عناق، وكان البريق من عينيك يعكس طيف الأماني، تناديني دون أن يكون هناك انعكاسة طرف من عيون فتحت على اتساع، لكنها عرفت أن السعادة لي كُتبت وأني مررت من بوابتها بسلام، قال

لهـا صمتـي وصمتـك، وكان لنـا الخيـار، أو بالأحـرى لـي، إمـا أن نصرفهـا، وإمـا أن نسـمح لهـا بالبقـاء، هـي رغبـت في الانصـراف، لتمضـي لعجـوز ينتظرهـا، بجـوار جـدار قـديم كان.

●●●

٤٦

الرحيل إليك، بمعناه، لا يعنى انتقال الجسد من مكان إلى مكان، ولا هو كسر الحواجز بقضاء ساعات، بل هو رغبة فى تجديد ينابيع الحياة ، فدائما الرحيل حيث المحبوب، دفقة تسري فتعيد كل الحياة لمسارها الطبيعي، فلا حياة من دون دافع، ولا دافع من دون رغبة فى الوجود، من أجل كل ذلك، تكون رحلتي، رحلة البحث عن الحياة حيث وجودها بكنف المحبوب.

ما زلت أحتفظ بكل أفكاري وأنا على متن الوقت، أطالبه بأن يمضي، حتى أكون بالجوار، وحيداً فى غرفة، تضم كل ما جمعت من تاريخ سيجمعنا، وأنا بها، أردد جملتى (يا غرفة اتسعي)، كوني باتساع الكون، باتساع ما بقلبي من حب، حتى ما تخيلته من خط سير اللقاء الذي سيكون ذات يوم، من المؤكد أن لا شيء سوف يغادرني، لا شيء يملك الانفلات والبعد، ويعلو إحساس التمسك بالمفردات، وأنا أسمع صوت قلبى بمجرد أن ألمس بعيني على محتويات الغرفة، إن من جرب الحب الحقيقى، يعلم أن تلك الأشياء أبدا لن تغادر مكانها، إلا إذا ما غادرت الروح وعاءها.

هنـاك فـى داخـل المغـادر أمنيـة، أن يكسـر حاجـز المسـافة بأسـرع مـا يمكـن، وأن يطـول زمـن القـرب، غريـب أمـره، يعامـل الوقـت بطريقتـين، لا ثالـث لهمـا، بهمـا يسـتقيم وجـوده.

فبعـد أن دخلـت عالمـك، كنـت لا أريـد الوقفـات التـي تجرنـي للخلـف، فأنـا كنـت أريـد الابتعـاد بقـدر المسـتطاع، ليـس هربـا، ولكـن رغبـة، فـى خلـق عالـم جديـد، حيـاة جديـدة، لذلـك كانـت فكـرة الاسـتمرار بـدون فواصـل أو نقـاط، حركـة دائمـة لخلـق هـذا العالـم، ففـي كثيـر مـن الأحيـان لا نعـرف أيـن نضـع فواصلنـا ونقاطنـا لأننـا نكتـب لأنفسـنا فـلا نحتاجهـا، يخيـل إلينـا أننـا لـن نقـف ولـن نتريـث، ولكـن عندمـا يصبـح مـا نكتبـه فـى صحبـة غيرنـا، يتحكـم فيـه، يقبلـه أو يرفضـه، لا بـد مـن إعـادة القـراءة لمـا كُتـب ولا بـد مـن وضـع النقـاط والفواصـل وإلا ضـاع الكاتـب ومـا كتـب.

●●●

٤٧

عند العودة ، كنت وحدي، وطفلي كان عندك، وأنا كنت شريدًا، أقلب عينيّ في سماء الليل، والأتوبيس ينهب الطريق الصحراوي، أصوات النعاس المتسربة من حولي، كادت أن تثير جنوني، فابتعدت، وكما قلتِ لي يكفينا غرفة واحدة، مكان لنا مفضل، نمارس فيه فعل المناجاة. هناك، نمت في رأسي فكرة، نمت بسرعة، حيث السكون يعلن عن نفسه، وحيث الكائنات تهرب متسللة، خوفًا من صمت المكان، آه يا حبيبتي، ليس هناك وقت مقتطع للنفس لتتعلم فعل الصمت، حتى تمارس سطوتها على الوجوه وهى مشحونة بحكمتها، المحب وحده، قادر على فعل هذا، لدرجة أنه يتمنى لو يعيش في جو كهذا، كبسولة مغلقة ومفرغة من كل شيء إلا الهمس، وفعل المناجاة حياة بديلة أوجدتها، بينما طفلي كان بجوارك .

●●●

كان قراري الأول، أعلنت موت اللحظات كلها لصالح الحب، حيث لا زمن، ولا امتداد له، وأفهمت نفسي بأنني لي قدرة اختراق الغيب، بإمكان الثقة في الآخر أن تثبت الجذور، وأنا

أخبرتها بهذا، وأفهمتها بأن بإمكان الآخر أن يحد من بعاد نصفه، حتى نعود دائمًا للواحد الصحيح، وأنه ما إن يوجد اثنان في مكان واحد، فلا فراغ في سرير الليل، سرير واحد، ووسادة واحدة، وحلم يتشاطران اقتسامه، وحينما ينفرط العقد، فإن البرودة، تعرف طريقها للنصفين، ومهما حاولا فلن يجدي دفء من دون القرب، ولن تقام مملكة لهما، حتى يعلنا أن الواحد الصحيح دستور حياة ..

صارت المناجاة وسيلة لاستعادتك.

خطوت إليك، فسبقني وهج، أحال جسدك إلى جوهرة لها بريق، وانحسرت عن رأسك أغطية كانت، فانساب شعرك، يعانق سواده ظهرك، استفاق بعد أن نزع عنه أغلاله، في بياض الثوب هو، عناق بين أبيض وأسود.

وانحرف نظري إلى كفيك، أعرفهما، خريطتهما محفورة في رأسي، ورعشة الجسد في لحظات العناق لها وقع انتفاضة النخلة حينما تعانقها الريح، لاحظتِ نظرتي، فمددتِ كفك، ونامت في كفي، فارتسم الهدوء على وجهك الباسم.

كان الوهج قد أعلن عن نفسه، في العينين، وفوق الشفتين، وعلى وجنتين، بهما ترياق الحياة، ورحت أنا أقترب منك،

وبنفس العين عانقت سريرك، فكشف لي عن ترتيبه ، واقتربت، كما قلتِ، قرب القرب، وما أن ارتشفت من نبع صفاء ترياقك رشفة، حتى اهتز الأتوبيس، فاستيقظت، ووجدت طفلي بجواري على وجهه ابتسامة رضاء، قلت له:

- كيف هي.

قال:

- هي في البعاد ترسم وجودك.

انتبهت إليك، وأنت تجلسين على كرسي واحد في غرفة، كل جدرانها من المرايا، أنت في كل مكان، حيث وجهت وجهي كنتِ، لم أفكر لحظة واحدة، أنني أمام شخص آخر، كنت أنا أمام نفسي، وضجت الغرفة بحضورك، واكتشفت رائحتك، كانت تلك أول مرة، وأول مرة لها طعم الاكتشاف، رائحة طيبة، لم أشمها من قبل، رغم أنني أعرف روائح العطارين، فهي ثقافة شعوب، وأنت لوحدك كنت شعبًا لم تره عيني، كنت مسكونًا بك، وبفراغ راح يمتلئ بك.

تأملتك كثيرًا، ونحن معًا، إلا أن الوجود في غرفة تخصنا، والمرايا، وانعكاس الوجه في كل مكان، أفسح لي، فامتد وجودك عبر أفق كبير، كنت على عرشك، منحتِ الفضاء ثقة، ليفصح

عـن نفسـه، قلـتِ لـي والعـين تلتهـم كل شـيء فيـك: أحـذرك مـن شـيئين، الصمـت في وقـت نكـون أحـوج فيـه للـكلام، والـكلام الـذي يفتـح أبوابًـا لا نـدرى مـا خلفها.وضعـتِ بنفسـك دسـتورًا آخـر، وافقـت، فقلتِ: أقبـل حتـى لا يصيبنـي صمـت المـكان بلعنتـه، تكلـم بـكل الطـرق، تكلـم، وتكلمـت.

وعدنـا إلـى البيـت، وهنـاك استسـلمت للألـم، وكأنـه مكتـوب علـيَّ أن أتنفسـه، وكيـف يتسـنى لهـذا الجسـد أن يتأقلـم مـع وضـع يريـد أن يرسـخ وجـوده، كأمـر واقـع، ابتعـادك، هـروب الحلـم، انشـطار الواحـد الصحيـح، آه يـا حبيبتـي علـى الفـراغ حينمـا يمتلئ بالوجـع، لـن أنسـى وحدتـي، وحواراتنـا، لـن أنسـى رغبتـي فـى بقـاء وجـودك المـادي، لكـن كيـف ووجـودك يسـتقيم مـع بعـادك، وطفلـي المجنـون بالترحـال إليـك، مـاذا أفعـل معـه؟ معـه كان اسـتحضارك غيـر كاف، فحبـك أصبـح كيانًـا يتطـور ويكبـر، كأنـه يقـول بأنـي مـع الاختبـاء، أخـذ وجـودي غصبًـا، لأكـون أكبـر مـن ذي قبـل، ومـع هـذا الغيـاب القصـري، كنـت أنـا مثـل طفلـي، عنـدي شـوق لـك، لصوتـك، لجسـدك، لهمـس كلماتـك، مـا كنـت بقـادر علـى مقاومـة رغبـة الاحتمـاء مـن ألمـي باللجـوء لصـدرك، ورضيـت بـأن أصبـح أنـا كلـي رغبـة مؤجلـة بكلمـة منـك.

كلما عدت إليك، وإلى تلك الغرفة التي تخصنا ودخلتها، وجدتها لا تضمك، والمرايا تعكس وجهي، وكلما أمعنت النظر فيها، وجدته لا يخصني، هو وجه لرجل آخر، رجل الحزن، من عرف حقيقة كان يلهث خلفها، لماذا الرحيل؟ هو ذلك السؤال الذي أحرق داخلي أو كاد، ما كنت أفكر في الحقيقة، كنت أفكر في محو غموض رغبتك في الابتعاد، ولحظة أن قلتِ، انفصلت عن نفسي، ونصف الواحد الصحيح، راح يكتوي، قولي لي كيف لنصف وجود أن يصنع معالم طريقه؟!

صار طفلي يحاصرني، يضيق عليّ الخناق، أنشوطة علقها في رقبتي، أجعلها معك وجودًا، كلما اشتقت إليها، يكفيك كلمة، رويدا رويدا خضعت له، احتضنته، وتحول الهمس داخلي إلى قرار، لن أنفصل عنك، كنت ساعتها، أقرر الدخول إلى نصف الواحد صحيح، نصفي الموجوع.

●●●

تعاملت مع الخيال، مع وجودك، مع صمتك، مع إعادة تكوينك، وإعادة استنساخ فوضى السرير الذي كان مرتبًا، تلك الحال قادرة على إنطاق الذات، فالألم الموجع، أحيانا يكون مكمن النشوة، أتعذب بك، لأكون حياتي، فتكونين في براح النفس تعيشين بحرية أكبر، ظل صوتك داخلي ترنيمة عشق،

وأوجاعـى كانـت كمـا هـي، تلاحقنـي، تأتـي لـي مـن عمـق ذاتـي، مـن مكمـن أسـراري، تحمـل لـي كل شـيء عنـك، أنـت حولـي، لكـن لا أقـدر بعينـين متعبتـين أن أقبـض عليـك، لكـن حينمـا أغمـض عينـيّ علـى صورتـك، أغفـو، سـيكون وجودنـا في عالـم كان لنـا، أمـد يـدي للمسـاحة الفاصلـة، أعيـد ترتيـب شـعرك المنفلـت، فكـم تبـدو الأشـياء لا قيمـة لهـا، وأنـا أفتـح عينـي فـلا تجـدك، ويـدي بهـا قبـض الريـح!!!.

كنـت أعـرف أننـي لا أسـتطيع أن أهـرب مـن حبـي لـك، كنـت في غيابـك القصـري، تتسـعين أمامـي، ولـم أحتمـل فكـرة البعـاد، فكنـت متمـردًا، قبلـت وجـودي علـى صفحتـك، ووجـودك أيضـا، أنـا مـن طلـب، وأنـت لـم ترفضـي، فكنـت دائـم المـرور علـى الزاويـة التـي جمعتنـا، أردت لهـا أن تكـون باتسـاع السـماء، حتـى تغطينـا، وأنـا أنعـم بـدفء وجـودك، كان هـو امتدادك الـذي أحملـه فيّ، رغـم كل شـيء أنـت لـم تضيعـي منـي، ولـن تكـون هنـاك امـرأة أخـرى في الكـون تحمـل ملامحـك، أنـت وحيـدة، في كل شـيء، صدقينـي إن قلـت بـأن العالـم كلـه، يبـدأ وينتهـي مـن عنـدك، كنـت دائـم العـراك مـع تلـك الذاكـرة التـي أحملهـا، كانـت كلماتهـا قـد نقشـت علـى صفحـات روحـي، أفضـل مـكان لحفـظ مـا يتعلـق بنصـف الواحـد الصحيـح.

كانت تلك أوقات بهجتي، كنت كمن ينوي أن يؤدي طقسًا مقدسًا، كلما انفردت بك في غرفتنا التي تحيط بجدرانها المرايا، صحيح كان برد الوحدة يزعجني، بعدما أغادر حجرتنا، وفوضى سريرك يودعني، إلا أن أمل اللقاء، كان يعيد التوازن الحراري لجسدي.

حوارات قليلة كنا نتبادلها، لم تخرج عن المعتاد، كنت أريد العودة لدائرة حديثنا، لكن كنت أنا ذاتي منهكًا، فالحب الذي منحني حرية التحليق، والكتابة، يكاد أن يوصد بابه أمامي، كنت واثقًا رغم ما كان، بأن اتجاه البوصلة، دائمًا يشير إلى الأمام، إلى المستقبل، وأن الحب سيبرق من جديد، وقوده حال المتصوفة التي كنت أعيشها مع طيفك، فالصوفي هو من علت نفسه، بحب الحبيب، وأنا كنت درويشًا في ساحة وجودك، له من الوجد ما يعينه على الغياب معك، وأبدا ما كنت أقبل فكرة المريض الذي ربما يعلنون خبر وفاته عن قريب، كنت أنا العاشق للحياة، لأنك فيها، كان هذا يكفيني.

كنت أريدك لأكمل حلمي، فأنا جائع للحب والحلم، والدفء عندك، فكيف لهم باجتماع؟ إلا من خلال وجودك أنت، فلا أحد في العالم يغنينى عنك، حافظت لك على تلك الزهرة التي نبتت في روحي، قلت لها كوني ربيعًا دائما، زادك روحي، تغذى عليها، وألا محالة من نهايتي حتى توجدي، كوني أنت، وخيالي معك يمارس طقوس القرب، قرب القرب كما كنت تقولين، واكتشفت

في تلك الفترة أنه أجمل من الحب قدرتنا على جعله قائمًا دائمًا بلا نقصان، نحمله كطفلي الذي كان يساعدني على سد الهوة بين غيابك وحضورك، كان بكل عناد يزيل حوائط غيابك، ويفتح لي طاقة لأنظر للبراح، أتنسم طيب رائحتك القادمة من الشمال، وكما أحب، كنت على موعد معك.

آه يا حبيبتي كم كان اليوم رائعًا، ذلك الذي قلت فيه لي: إنك كلما كنت تحاولين كتم صوت الحب، كنت تجدين روحك قد فارقتك وجاءت لي، كنت كمن سمع حكم إعادته للحياة، تمنيت وطفلي لو قدر لي أن نملك آلة الزمن، لأسافر إليك في لحظتي تلك، لأنثر عليك باقة من زهر الياسمين الذي تحبينه، وأشاهدك وأنت تشرقين، وسط حمام من النور يغشى جسدك، وأستسلم بين يديك فقط، لأقص عليك وجع الأيام، قلت لك لو أنني أمامك لضربتك، ما زلت أصر عليها، فالوجع لا طاقة لي به، لكن لندع تلك الذكريات، ولنعد إلى وجودك المسترد.

أصبح طفلي متقلبًا بين الرغبة في عناقك، وبين الخوف من عودة تلك اللحظات، ماذا لو التقينا، وتقاسمنا الشراب مرة أخرى من نفس المكان، قلت يجب ألا نتمادى في استحلاب اللحظات بكامل طاقتنا، عبأت نفسي بالأمنيات وقصدت اللقاء.

●●●

أنا المنقسم بينك وبين طفلي الجموح، بين أن أكون كما يريد، أو أكون حيث أنت تريدينني أن أكون، هو هذا الشخص الذي شد الرحال إليك، ما كان لتفكيري أن يطول، خوفي عليك من فوضى هذا الطفل، جعلني أسجنه، فأنا لا أحتمل نزقه، كذلك أنت ربما شغبه يتعبك، رضيت ألا أكون عند النقطة التي تضعينها بنفسك، أنت في عالم روحي، وأنا في عالم روحك، وحين يسكن كل شيء يمكننا أن نصنع نكهة تخصنا، وحينما التقينا، وجدته يبتعد، رأيته وهو يجلس بعيدًا عنا، وحينما عانقتك ابتسم، وأشرق وجهه، لحظات قليلة هي، لكنها مغتصبة من زمن يبخل دائمًا علينا بالفتات من لحظات الشوق، لحظتنا تلك، لا يعرفها أحد سوانًا، وضعنا لها إطارًا، هي بداخلي، والطفل الجالس على البعد، كان يحرك شجوني، كدت أقربه، لكنني في اللحظة الأخيرة، طالبته بالبقاء في نفس مكانه، كان مشاغبًا، فوجدته يتبعنا ونحن نذهب لمكان يخصنا، مكان آخر جديد.

●●●

هكذا نعبر المدينة، فتأخذنا الوجهة للمكان الأثير، تستكين على أطرافها، وعلى بابها وجوه كانت تهرب من صداعها المستمر، هناك حيث يزهر الجمال، وترتاح الزهور على الأرض، شامخة وأنت تمضين بجواري، وشمس شتوية، تظهر فجأة، وفجأة يدثرها

الغيم، وأنا كعهدي حينما أكون معك، أنجو من العابر اليومي، لأصنع واقعًا، يصبح بعد ساعات اللقاء مائدة للأيام، كلما عضني الشوق جلست إليها، لألتهم منها جزءًا من الحكايات.

نحينا الأسئلة بعد عتاب، وجلسنا على مقعد رخامي، في مواجهة الرياح الباردة، كنت أريد أن نقوم إلى مكان يخصنا، لا عين فيه، تجيد فتنة التلصص، أجبرت نفسي وطفلي العائد إليّ بالرجوع، وترك الأمر لك، مغتصبًا انتباهي لأكون بكامل وعيي معك، أتابع كلماتك، سيدة تجيد نظم الحرف، شيقة حكاياتك التي لا أملّ منها، وكذلك ابتسامتك، وقتها لم أعرف كيف أقارن الوجع بالفرح، فالوجع كان كالتنور عليها أنضج الفرح المنتظر، أنت من الوجع ولدتِ.

●●●

هناك والمكان يفرد لنا وجوده، تكلمنا كثيرًا، وغيرنا مكان جلوسنا، كنت أعانق خطواتك، طقس أحبه، وعيني كثيرًا ما سافرت، لأسجلها لك، وحينما جلسنا في مكان آخر، أمامنا تل مرتفع، يصعد إليه طريق ضيق، عيني كانت عليه، من هناك كانت الأجساد تمضي، كنت أود لو غبنا هناك سويًا، نصنع مفردة لعالم يخصنا، أنت وأنا، وأنا وأنت، واحد صحيح، جواز مرور لنا، من دونه لا مقام ولا ترحال، كانت فكرة مجنونة حينما

مددت يدي، حرضتني خصلة شعر، عانقتها بأناملى وأعدت لها عقلها، وتحت الطرحة أودعتها، طرف إصبعي، لامس أعلى الحاجب، عانق ملمس بشرتك، سافر قلبي إليك، وهناك غرد، صفاء العناق أينما وجد يبنى لنفسه صرحًا، ويشيد غرفه، محطة انتظار لكل قادم.

ويدي أستردها من هناك، حيث أنهيت مهمة سجن خصلة الشعر، كانت عيناك في عيني، للحظة كنت هناك في العمق، وللحظة تمنيت أن تطبقي على وجودي لأستمر هناك مقيمًا للأبد، لكن كيف لي هذا؟ لن يحدث أعرف، لكن عينك قالت لي: لا تثريب عليك، لا مبرر لخوفك، لن يحدث شيء، لديك ما يؤكد ذلك، أنت هناك انظر، كل العالم أنت، لن ينتزعك أحد، تعال، انظر. سحر أرى، هكذا قلت، لمست الكلمة قلبي، أنا من قلتها، واندفعت بقوة إلى العودة لوجهك، لحظتها كان طفلي، ومشهد المصور في الميدان، قلت ولم لا أسجن تلك النظرة في صورة، صورة لك، تعددت الصور، وفى كل مرة لم تكن تعجبك اللقطة، وأنا كنت سعيدًا، كان حصيلتي خمس صور.

●●●

فيما بعد، وأنا الآن أتخطى الحدث بأيام، كانت صورك أمامي، الأخيرة، وما سبقها في تتابع زمني، أنا أحفظه، تاريخ

وجودك، ووجودي، ولحظاتنا الأثيرة لدى، والعين لأنها تعرفك، وتعرف ما علاقتك بالوجه، كانت رجفتي، بل ارتعشت مثل ورقة يابسة، صفعتها الريح، ثم نزعتها، وألقت بها، فكانت هشيمًا، من هذا الحطام عدت إليك، إلى صورك، وانزلقت عيناي إلى كل شيء، ومن خلال نافذة فتحت، وجدت الوجه متعبًا، ندمت كيف لم أنتبه إليه، وأنا في سكرة حضورك، كانت غرفتي ساكنة، وصورك من خلف شاشة الجهاز تتابع، كان عدد النظرات لكل واحدة متساوية، مددت يدي، وغالبت دموعي، وجعك يفوق وجعي، والمشكلة كانت كيف أعيد لوجهك إشراقه الذي أعرفه، وتلك ستكون مهمتي معك.

●●●

ما مضى كان ملاحظة حتى لا أنساها، وأنا أعود لوجهك، وأنا ممتلئ بحنين لو وزع على كل الوجوه التي تمضي حولنا لكفتهم، وأقول لك، كنت أنا الجالس بجوارك، أود لو قمت لكل عين تقف عندك، أنا الجنوبي، أغار على من أحببتها، أشياء صغيرة لكنها تؤكد بأني كنت أجاور الملكة، أنا من راح يتكلم، وأنت كنت تنصتين، تكلمت عن وجعي، ونسيت وجعك، تكلمت عن حلمي، ونسيت حلمك، أنا المسافر عبر أوردتك، لم يكن يهمنى إلا إرضاء نفسي، وأنت كنت تصرين على بث تلك الروح

في، لأول مـرة أقـول لـك هـذا، والسـبب، صـورك، تلـك التـي سـبق القـول عنهـا، أتحـدث عنـه، كأننـي لأول مـرة أرى مفرداتـه، هـو يـا حبيبتـي كان ثابتًـا ، لكننـي كنـت أغـض الطـرف عنـه، وأنـت كنـت تشـاركيننـي نفـس الفعـل، لذلـك أقـول لـك مـرة أخـرى: أنـت مـن الوجـع ولـدتِ.

●●●

٤٩

دائما أتمنى وجودك، لأغزل نفسي فيه،لا أتمنى أن يلحق بي شيء، حتى أفكاري، لا أريدها خلفي، لتظل على تلك الصفحة من دفتري حيث أكمل الحكاية،.بل سأفرغ عقلي من كل شيء، تماما كما أفرغ حقيبة سفري عند عودتي، بل أقول أود ألا أعود، لأني مقتنع بنبوءة جدتي:

"امرأة تأسرك، فاتبع ظلها أينما كانت» شيء محقق الآن، أنى أسمع صوت التصفيق، ودقات قلبي تتسارع، وكياني كله يغزل بكيانك، وأسمعك تهمسين من خلف حجب:

" أرح روحك المتعبة» أحسست بدفء يسرى، وبأنفاسي تنفلت، «استرح» تقولينها، بينما يدك اللامرئية توضع تحت رأسي، والأخرى تداعب شعري، وفمك تارة يحكى، وتارة يروي ظمأى، وأنا قررت عدم العودة، الموت هنا حياة توهب، فأنا منذ صغري، أطارد الوحدة، أكون حيث تكون، أمضي معظم الوقت وسط الحقول، قالوا عني إنني سأكون حينما أكبر رجلاً لا يهوى الجلوس فى المقاهي، ولا يرتاد المنتديات، وأنا أشكر الآن هذا الطفل، الذي دربني على التأمل، فلولاه

مـا جلسـت هكـذا، أنصـت إليـك وأسـتمع لمقدمـة أمـل حياتـي، وأبحث عنك وعني، وجيتار عمر خورشيد يشق صمت الغرفة، أحلق معه، ومع صوت أم كلثوم، «أمل حياتى يا حب غالى ماينتهيش يا أحلى غنوة سمعها قلبى ولا تتنسيش خد عمرى كله بس النهاردة خلينى أعيش"

الآن وسط هذا الجو، تتجسدين لى، وأنا في معيتك، تأتين بخطواتك الواثقة، تختارين مكانك المفضل، على مقعد بجواري، شعرك المسترسل يداعبه نسيم ربيعي خفيف،

بدا لي جمالك تلك الليلة مختلفا، وأنا خلف مكتبي أكمل نصا بدأته، بدد وجودك ما كنت أقوم به، ولحظة أن رفعتِ وجهك إلىّ، طالعت الرداء الخفيف وهو يحيطك، فخفق قلبي، لم أستطع أن أظل كثيرًا عندك، وعدت لكلماتي، بدت لى كلها متشابهة، فقط كان عطرك ورائحة جسدك قد ملكا أمري،

ضاقت المسافات الفاصلة بين الكلمات، ظلك سكنها، وكان اشتياقي للعودة إليك قد وصل مداه، لكنى بقيت أتابع رحلة اختفاء الكلمات وحضورك الطاغي، حاولت أن أقول لنفسي أكمل ما بدأت، لكن الكلمة خانتني،صورتك ملكت كل شيء، ومع الوقت شعرت بالسأم من كلماتي، فرفعت وجهي، وجدت ابتسامتك، وحبات الدر تضوي، وقلتِ:

"ألا تفعل شيئًا آخر خلاف مراقصة الكلمات" ضاعت الكلمات، فغادرت مكاني، وخطوتي الأولى ترسم لي طريقي، القبلات بداية لحوار سوف يطول.

●●●

٥٠

حينما يأتي الليل، أتقاسم معك كل شيء، أنفاسي، آهاتي، أحلامي، رغبتي، كل ما لم أكتبه وكل ما سوف يأتي، أتقاسم معك لهفتي، ورحلتي التي لا يشاركنى فيها إلا طيفك، إلا همسك، والأشياء التي تحبينها، التي عرفتها والتي أجهلها وكل من يراك، ولا ينظر في عينيك، سأخبره أنا ذات يوم أننى سرت بجوارها، رافقت خطواتها، وجلست إليها، أنفاسها تقترب مني، تأخذني، تلقي بي للبعيد، وسأتعلم من أجلها سأقول لكل مكان يراها، وكل كرسي يضمها، وكل غطاء يدثرها: إنكم تقبلون أجزاء منها، ربما لن أراها، لكن ليعلم جميعكم أنها لي، لن يمضي ما بي، ولن ينتهي، سيكون له البقاء التام، والثبات الدائم، والخلود الأبدي، لا الفناء ولا الموت سيعرفان كيف يأخذان منى شيئا، مهما فعلت الأيام سيظل الرحيل والهجرة، والسفر، والإقامة، كلها مرادفات لي، كلها تحمل قصة حياتي، كلها لن تنقص من نورك، ولن تبتعد، ولكن سيكون كله صحو لا محو فيه، لنداء حياة، والصوت جزء من كل، والهمس عناد الحبو حتى يكتمل الحلم، والقول الفصل لا وجود له، ما دام العناق قائمًا بين قلبين، وروحين، وشفتين، وجسدين، وما عدا ذلك هو لغو، لا محل له ولا قيمة في مدار هو لك، ملكك، وجد لك، لا نظير

لـه، وأنـا إليـك أنتسـب، إليـك يعـود كل أصلـي، كل حلمـي، كل خطواتـي التـي تبنـي للغـد، والطيـف يحكم، يأمـر، ويلقـي بـكل مـا يرغـب فيـه، وأنـا أمضـي في طريـق النـور، زادي هـو، شـحنتي هـو، علاماتـي هـو، المرشـد هـو، وجيبـي مثقـل بـكل شـوك، أرفعـه عـن طريقـه، حتـى يكـون في ذروة البهجـة، والرغبـة، والشـبق، والعنـاد، والتمـرد، والسـعادة،

في حياتنـا مهمـا طلبنـا مـن صلـة لا نجـد إلا التـي تحيـي، التـي توجدنـا علـى طريـق كل مـا فيـه يغـري، ويشـد، ويجعلنـا تابعـين لـكل مـا سـوف يولـد عنـه، هـذا الفعـل أو هـذا الحـدث، أو هـذه الصلـة، ترتقـب التلاقـي، ترتقـب العـزف، ترتقـب الصـوت الختامـي لـو كانـت فعـلاً واحـدًا، أو أصواتـا متتابعـة لحـركات تتلاحـق، بـين التحـام وفـك الحصـار، هـي دائمـا موجـودة، في اللقـاء بعـد غيـاب، وكأننـا نـردد قـول محمـود درويـش، نقصتنـي وأنـا حضـرت لأكملـك، تعيدنـا لنسـق الصلـة، لبدايـات التعـارف، فهـل هنـاك أفضـل مـن صلـة لحـم نابـض بآخـر أكثـر نبضًـا، مـن تلامـس يولـد علـى حـد اللهفـة والوجـد، مـن سـجن لجـزء بـين جزأين يرتشـفان منه الشـهد، فيعتصـر، ويتـرك سـكره، فتسـري بعدهـا الرعشـة أو الشـوق أو الرغبـة في الغيـاب داخـل الآخـر، أو الاحتـواء التـام، أو صـراخ لأجـزاء أخـرى تـود الصلـة نفسـها، فهـل هنـاك صلـة تفوقهـا، تبنـي

ولا تهدم، هي تولد على حد اللهفة، وتؤدي بنا لإعادة تشكيل الكيان،العين تسافر أولا إلى الشفة الأكثر اختلاجا، اكثر حركة، أكثر لهفة، أكثر شوقا، فتكون قبلة محرمة، ويتم الالتقاط، فتكون في معية الوقت راحلة لدنيا الألق والصراخ والفيضان.

أن تكون بين حركة القبض والبسط، والغوص بين شقي ثغر يعرف كيف يجردها، ويجعلها في عالم خاص، هو بداية الاختلاج المودع فيه الحياة، والصوت الذي يغادر ليشمل الجسد كله.

ووقت الخدر، وانتهاء النبع، وقرب التهاوى، تصبح طيعة، لا تقوى على الثبات والبقاء، فتظهر وكأنها واقفة في زحام، تحتار وهي تبحث عن المخرج من هذا الاضطراب الفارق بلحظاته، ويأنس ما ولد في جسد، راحت مكامن الشهد الأخرى تطلب نصيبها من تلك الصلة، ترافق الإنسان يتمنى تحقيقه بكامل مشهده مع نصف يسافر إليه بنفس اللهفة وقت الاكتفاء، يكون نصيب الأخرى التي هدأ جمرها تخشى مما شافت، مما رأت، مما حدث، مما نتج، فتكون حذرة، والتلاقي يتم، وكامل الجسد يكون على نفس الحذر وحينما تستهلك من الصلة، يبقى شيء وحيد، فيه نهاية القبلة، بداية رحلة، مدخل ملكي للاستسلام، لرفع الرايات البيضاء انتصار الكامل

●●●

٥١

كلما جدفت بعيني وأنا في بحر عميق، أجدك في كامل البهاء، تجلسين كملكة، وتسألت كم يلزم من الوقت لأنهي ما استقر تحت جلدي من حزن وعذاب؟ وكم أحتاج من وقت لأغسل جسدي من لهفة تحرقني؟ فالجسد المجدب يحتاج لطوفان يعيده، أخشى وكنت وما زلت من تلك الارتعاشة التى تأتي بالوجع،فبين ما كان وما سوف يوجد ألف سؤال، وألف حكاية سمعتها، ،وألف وجه وجه إليّ اللوم، وقلت لهم منذ متى يعاب على من تسكنه اللهفة والشوق ؟ فلا سؤال يكفي، ولو جردت من كل الكتب علامات الاستفهام، فكل رجل يخرج من بيته يسعى، قد يغلبه نوره ذات لحظة، فيتمرد عليه، ويقرر أن يأخذ كفايته منه، حتى لا يضل الطريق، وقبل أن يعود من حيرته، ربما يرد إليه بصره، فيدرك أن الحياة ينبغي ألا نقطع الأمل فيها، فالأمل كما قيل رأس طريق الأمان.

والوردة التي تروى من عطر الروح، ستكون خالدة، متقنة في نفث أريجها، لن يوقفها شيء، وذاكرتها ستكون ذاكرة وردة، يركض الجميع من أجل نفثة عطر وحيدة منها، لكنها تختزل كنزها وتعلن بأنها امرأة وجدت في متن فريد لن يكون إلا لمن أتقن لغة العطر، وعرف أن الحياة في القرب غاية ونهاية مطاف،

فالحياة لوحة، نغمض العين ونتخيلها، وكل واحد منا يتمنى الآخر جنته، هكذا يقول المحب، وهذا هو صوته وقت الهدوء، لن أكتب تبريرًا ذات يوم لفعل فعلته، ولكن أحب السؤال، في داخلي الكثير من الولاء لك، والرسوخ سيتوقف على مدى تقبلك للنور، فدائما هناك شيء ما في الشخص ينتقل للآخر فيجعله سعيدًا، فالحديث في كثير من الأوقات يوجده، والمشي بروح مسكونة به توجده، وهو في مجمل الصلة يتجاوز عن التفاهات، وأنا أفضل التحاور، لأنه طريقة نافذة، تقول لنا إننا بخير، الصلة تجعلنا نكتشف الكثير، وتجعلنا لا نفكر إلا في الشخص الذي حرك داخلنا، وجعلنا نسترد ما كان لنا، ويجعلنا نتذكر المعاناة التي كنا نعيشها، وإذ يوجد الآخر، فإنا لو قيل لنا هيا اذهب واركل أطول جسر في مدينتك، سيفعل وهو يبتسم، ولم لا وبداخله شحنة هائلة من المحبة.

يجب أن تكون هكذا، نعم، وبنفس الصورة، فهي راسخة وباقية في نفس من يدرك طبيعية الاهتمام، رؤية لن يدرك معناها الغافل، لنكن على متن الصدق إذا ما جئنا إلى عالمنا هذا، فكل شيء فيه سيكون مثيرًا، ويومها لن نقول: حسنا ما عدت أتقبل المزيد، لنقرأ معًا الهدوء، وندرك من أين تبدأ الحياة، وكيف يكون وجودها، وما أثرها؟

●●●

٥٢

مارست التصوف بمعناه الشامل، قرأت كثيرًا عن الصوفية، وعن الرهبنة، وقرأت في كل شيء يتعلق بالروح، تشربت السكينة والهدوء، وما زلت أدمن جلسات الوحدة التي أصفو فيها إلى الوجود، الكائن بطبعه روحاني إما أن نقتل ما فيه أو نجعله يصل لكنزه، فيصبح كل شيء أمامه كوضوح قاع البحر، الوجوه شاشة واضحة، عليها كل شيء مكتوب وظاهر، في العينين يتركز نصف الكلام الذي قيل والذي لم يقل، عاشرت الناس وكنت بينهم، لا أعلو عليهم بما لدي من معرفة، بل أجدني أصغر من وجد في أي جلسة، أنصت كثيرًا، وكلامي يصبح نادرًا، فالمعرفة تصلنا بالإنصات وليس بالصوت أو بالكلام، فكل شيء في الكون وجد عبر حقيقة، وهو مصنوع بإتقان من الله، كأنه لوحة مكث عليها الفنان ليضع كل دقائقها، بهدوء ومن دون تسرع، كلنا نحمل نفس الصفات، فالله منحنا كل شيء بعدله المطلق، وتركنا نحن لندرك هذا، منا من يعرف، ومنا من يجهل، وقتها الفائدة لمن عرف، أما من جهل، فهو كمن راح يمضي في الصحراء ومعه الماء، وهو لا ينتبه، عيناه دائما هناك، تتصارعان مع السراب، وقفت كثيرًا مع بعض صورك، أنا نفسي لا أعرف السبب،

ربما لأن بعض الصور لوحات مختلفة، جعلتني أقف أمامك، وحدتك تلك ترسخ لصفة تجدينها أنت لازمة لك، بل تعدينها أهم صفة تحدد كيانك، فأنتِ كتوم، تسافرين بعيد في عمقك، وتدفنين كل شيء، كل شيء يتعلق بمن يحملك أمانة سره، وبكل شيء يخصك، قبل أن يكبر تسرعين بوضعه هناك، أجدني أقرأ وجهك بسهولة، أخشى من الاستمرار، وضوحك يجعل داخلك كبطانة الفرن، تهضم كل أنواع الحديد، وتظل كما هي لا تتغير، فالمعدن النفيس يحافظ على توازنه مهما حدث، هكذا هو معدنك..في اختيارك بين أمرين لا تميلين للسهل المتاح، دائما تختارين الصعب الذي يوجد، فيكون دوامه راسخا، لأنه يحمل بعضًا منك..تعشقين الحلم المتاح، والخيال عالم تحبينه بطموح، من تعرف قدر الجمال لا ترتاد المجهول، لأنك تنظرين دائما حولك كثيرًا، أو هي شاشة كبيرة تعرض صفاتك بوضوح، أو هي حوار بين شيئين كل واحد يريد أن يحرز نصرًا، والنتيجة ستظل دائما غير معلنة.. أو هو الاستثناء الذي يشدنا ويجعلنا نمكث عنده، فيخبرنا أن الموت يسكن كل مألوف ثابت لا يتغير، أما الحقيقة بنسبيتها فتسكن الاستثناء، تماما كالعزف المنفرد، يكون سمتًا وحده، لا شبيه له، تلك هي صفاتك، جزء منها الدهشة التي تقودك لأن تكوني عاشقة لنفسك، تحاورينها بهدوء لتدركي أين أنت، وأنا لأدرك كيف وجودك، غفوت، وبين خيوط

الحقيقة والتهيؤ رأيتك جالسة أعلى ربوة ، الطريق الصاعد إليك لا يرتقيه إلا من نال سرك، أنت هناك تمثلين الاستثناء، تعزفين على وتر وحيد، لحن يتغير كل لحظة، لا يسمعه إلا كيان وجد لكي ينصت كثيرًا، وحينما يتكلم يكون كلامه على حد نبض، كتبت على غيمة تظلل ربوتك، ما تركت شيئًا إلا ونقشته، تمنيت ألا تمطر، لكنك قلت: لتدع المطر فأنا أحبه، وسوف أرقص عارية القديمين تحت رذاذه، نظرت إليك، فوجدتك في قدس أقداس الطهر تبتهلين، ممتلئة بالأمل وبالحياة، حتى إذا ما انهمر المطر، وقفت ثابتة، حائرة، تمضين وترقصين، قلت: أنا مختلفة، ومن ورد واحتى لن تناله العواصف، فكل شيء فيّ ستر، لن أكون إلا كنسمة عابرة أحيانا ومقيمة أغلب الأوقات، إن ملكتني أتمنى ألا تسجنني، فأنا بنت البراح، حينما يضيق بي المكان، أتمرد وعندما اقتربت منك، والمطر المنهمر من غيمة كتبت عليها، قلت لك، كوني هنا، تراجعتِ وقلت أنتظر الثقة، وأنا ألوذ بنفسي، أقرأ ما حدث، فكل ما حدث يحمل جمر الوقت، وأنا بطبعي أشتاق للجمر وقدماي فوق الربوة، اقتربت، وأنا بالقرب أنصت لرائحة حريق، نظرت في كل اتجاه، وقلت لك فابتسمت، يقتلني الهدوء، ويشدني الحريق، وأعود أنصت، كل شيء في ازدياد، ماذا حدث؟ تقولين: سافر إلى داخلك، حريقك في ذاتك، ألم أقل لك خفف الخطوات، فأنا إن ملكت

حكمت. أضيق المسافة بيني وبينك، ألتقط كف يدك، أعانقها، فتتوافق النبضات، والرعشة تعرف طريقها لجسدي.

أعترف لك الآن وأنا وأنت نوغل متشابكى الأيدي، أنت عالم بأكمله، موجة من المد تشمل جسدي، لمسة كفيلة بإذابة جسد تمرن على الصبر.

●●●

مصطفي البلكي

- قاص وروائي مصري ـ عضو اتحاد الكتاب

- أسيوط ـ مركز الفتح ـ عرب الأطاولة

- أخصائي كيميائي بالهيئة العامة للتامين الصحي فرع أسيوط

● الأعمال

-ا لجمل هام للنبي.. قصص قصيرة.. مركز الحضارة

- تل الفواخير.. رواية.. الهيئة العامة لقصور الثقافة

- رمسيس الثاني البناء الأعظم روايات الهلال

- بياع الملاح.. . رواية.. .. مركز الحضارة

- بينوزيم.. الكاهن الأكبر.. . روايات الهلال

- طوق من مسد رواية سلسلة إبداعات الهيئة العامة لقصور الثقافة

- الإضراب الأول روايات الهلال التاريخية

- ساوتى رواية روايات الهلال التاريخية

- صور مؤجلة للفرجة قصص دار شرقيات

- دوامات الصمت والتراب قصور الثقافة سلسلة ابداعات الثورة

- سيرة الناطورى رواية مجموعة النيل العربية

- أصوات الجرار القديمة قصص دار سما

- البحث عن السعادة كتاب الهلال للاولاد والبنات

- نفيسة البيضا رواية دار سما

- قارئة الأرواح رواية دار سما

- ممرات الفتنة رواية الهيئة العامة للكتاب

- جلنارة حمراء دار سما

- حكايات مبتورة قصص ..دار أطلس للنشر

● الجوائز

- أفضل رواية من الهيئة العامة لقصور الثقافة

- جائزة القصة من جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين الثقافية عام ٢٠٠٦، وكذلك جائزة الرواية عام

- جائزة نادي القصة في الرواية

- جائزة القصة من جمعية الرواد بأسيوط

- جائزة إحسان عبدا لقدوس في الرواية
- جائزة أدب الطفل من جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين ٢٠٠٨
- جائزة القصير في الإبداع القصصي ٢٠١٠
- جائزة اتحاد الكتاب فى الرواية ٢٠١٠
- جائزة ساقية الصاوى فى الرواية ٢٠١٢
- جائزة الروائي الكبير بهاء طاهر في الرواية ٢٠١٧

●●●

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر